حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة الخامسة عشرة / (نوفمبر - ديسمبر) ٢٠١٩

75

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary |November - December 2019

الجوهر المفقود

غدوتَ أسيرًا لزَيْف الترَفْ
ومزَّقتَ حبلَ أصول الشرفْ
وصار انتفاعُكَ دِينًا لديكَ
وقلبُكَ نحو الفناء انصَرفْ

***

٢ الفؤاد
فتح الله كولن

٣٤ حديث النفس جنون أم عبقرية؟
صفاء الدين محمد

٥١ العمران أسمى وظائف الإنسان
مجيد الحداد

الأمانة

إنّ انتشار الظلمة في سماء أمتنا، واشتعال أوار الفتنة في معظم ربوعها، لا يعفي من أمانة بيان الحق، ومسؤولية التمسك بمعالم الاهتداء، والعض على الكلمة السواء.. هذه الأمانة كانت -وما زالت- ركيزة أساسية قامت عليها مجلة حراء منذ عددها الأول بمقالاتها التي سطرتها نخبة من العلماء والمفكرين. ويأتي الأستاذ فتح الله كولن في هذا العدد، ليؤكد مرة أخرى على مسؤولية التمسك بمعالم الاهتداء؛ حيث يشير في مقاله الرئيس إلى مَعْلَم حياتي في دنيا الإنسان هو "الفؤاد". وقد بيّن كولن أن القيم الإنسانية كلها نمت وترعرعت في وديان الفؤاد، وأن الإيمان والعشق والأذواق الروحانية كلها هي ثمرات في بستان هذا الفؤاد، منوهًا بأن الذين يسيرون في طريق الفؤاد ويحلّقون بقلوبهم، لا يعرفون الظلام ولا يتعثرون بشيء أبدًا.

وفي عالم الخيال يأخذنا "أحمد مصطفى الغر" إلى الماضي ليعرّفنا بثلة من المهتمين بالخيال العلمي، الذين تحوّلت أفكارهم وخيالاتهم فيما بعدُ إلى واقع وحقيقة؛ ففي مقاله "خيالات الماضي حقائق الحاضر" يركّز "الغر" إلى الخيال العلمي الذي بات يتأطر في إطارات علمية جديدة، ويتم النظر إلى أدبيات الخيال العلمي على أنها تحمل وجهات نظر فلسفية وآنوية لنظريات علمية واختراعات تكنولوجية قد تتحقق مع الوقت.

وأما "محمد الصادقي العماري" في مقاله "في تدبير الاختلاف الإنساني"، فيشرح الصلة الوثيقة بين العدل والتعارف والتعاون الإنساني، مؤكدًا على أنه لا تعاون حقيقي بدون تعارف، بل لا يقوم التعاون الإنساني ولا يثمر إلا على أساس التعارف الإنساني.

وعن الارتباط الوطيد "بين المحن والمنح"، تحدثنا "سعاد محمد اشوخي" عن الأمل وإبقائه حيًّا دائمًا في دواخلنا. وفي مقاله "الفلسفة بين الوجود والعدم" يكتب "سعيد السلماني" أن نمط التعبير الفلسفي عند فلاسفة الإسلام، يختلف جذريًّا عن نمط فلاسفة اليونان، وأن فيه من الغنى والسعة والاختلاف ما نجده عند أساطين الفكر في كل الحضارات الإنسانية.

وكعادته في باب العلوم يواصل "محمد السقا عيد" بمقالٍ غاية في الأهمية؛ حيث يعرّفنا بمرض خطير يصيب العين بالعمى تدريجيًّا دون أن يشعر صاحبه يسمى "الجلوكوما"، ويشير إلى أن الوقاية من هذا مرض، لا تتم إلا بإجراء فحص دوري كل خمس سنوات لكل من تجاوز الأربعين سنة من العمر.

كما يستعرض "مجيد الحداد" رؤية الثقافة الإسلامية الحضارية للعمران، ونماذجه وأسسه التي ارتكز عليها، وقيمه التي اعتمدها، معبّرًا عن ذلك في مقاله المعنون بـ"العمران أسمى وظائف الإنسان".

وفي مقال متميز "كلمة السر في الرؤية التربوية للأستاذ كولن" تتناول "باربرا ويد" جملة من أفكار كبرى لا ينبغي تجاوزها هي الرؤية التربوية للأستاذ كولن التي تحتاجها الإنسانية كلها.

وبعدُ.. فإن "حراء" تعتذر لأساتذتها الكرام الذين لم يسعفنا ضيق المساحة للتنويه بمقالاتهم التي تبقى مهمة في تشكيل الإطار العام لهذا العدد، والله ولي التوفيق. ■

المحتويات

الفؤاد / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
ورود وجحود / حراء (ألوان وظلال)	٤
خيالات الماضي حقائق الحاضر / أحمد مصطفى الغر (علوم)	٥
في تدبير الاختلاف الإنساني / د. محمد الصادقي العماري (قضايا فكرية)	٩
بين المحن والمنح / سعاد محمد اشوخي (أدب)	١٣
المحاكاة الحيوية / د. ناصر أحمد سنه (علوم)	١٦
الفلسفة بين الوجود والعدم / سعيد السلماني (قضايا فكرية)	٢٠
الجلوكوما مرض يقود إلى العمى / د. محمد السقا عيد (علوم)	٢٣
التدبر مفتاح التلقي / د. مراد زهوي (قضايا فكرية)	٢٧
خجل الكلمات / محمد المجتبى الثاني (شعر)	٣١
الأسلوب في النقد / فتح الله كولن (قطوف)	٣٢
حديث النفس جنون أم عبقرية؟ / صفاء الدين محمد (علم النفس)	٣٤
ليس سرابًا / حراء (ألوان وظلال)	٣٦
مجالس القرآن / لحسن ملواني (تحليل كتاب)	٣٧
ليوا.. وجهة الرطب في الخليج / د. محمود أحمد هدية (ثقافة وفن)	٤١
آفة الإدمان الإلكتروني / د. نفيسة الزكي (علوم)	٤٥
أيهما العليل؟ / د. عمر ليثي (أدب)	٤٩
العمران أسمى وظائف الإنسان / مجيد الحداد (ثقافة وفن)	٥١
ابن الرومية.. مرجع علم النبات / د. بركات محمد مراد (تاريخ وحضارة)	٥٥
كلمة السر في الرؤية التربوية للأستاذ كولن / د. باربرا بويد (قضايا فكرية)	٥٩
مزمار من كرتون / أحمد ألتان (قصة)	٦٢

الفؤاد

إن المحبة سليمانُ *** والفؤاد هو عرشها(**).

الفؤاد هو أحد أهم عناصر الإنسان وأخطرُها، وهو تعبير عن وجوده المعنوي، وهو منبعُ مشاعره وعقائدِه، وهو الطريق المؤدي إلى آخرِ نقطة من أعماق الإنسان، وهو في الوقت نفسه أول نقطة انطلاق إليها.. والذين يسيرون في طريق القلب ويحلّقون بقلوبهم، لا يعرفون الظلام ولا يتعثرون بشيء.

لقد نمت القيم الإنسانية كلها وترعرعت في وديان الفؤاد، وما الإيمانُ والعشقُ والأذواقُ الروحانية جميعُها إلا ثمراتُ بستانِ هذا الفؤاد.

إن الذين تَصحَّرَتْ قلوبهم سيتعرضون -حتمًا- لجفاف في المشاعر ونضوب في الأفكار وضيق في المحاكمة العقلية والنظرة

العلمية؛ فلقد عاش الفؤاد أزهرَ أيامه بكل أبعاده في العصور التي كان المنطق فيها تحت وصايته وحِلسًا ببابه، وتَرَكَ خَلْفه ما لا يُعدّ ولا يحصى من التراث الخالد؛ فقد كانت الروحُ في تلك المراحل تهيمن على المادة، وتذيبها في بوتقتها، وقد تَداخَلَت الدنيا مع العقبى واتحدت في تكامل معها، وصارت سفوحُنا القاحلةُ مَعارضَ للعوالم الأخروية، وَوَجدت القيمُ المتعلقة بالعوالم الماورائية لنفسها في هذا العالَم قيمةً وسُوقًا رائجة، وقُدِّرت الأشياءُ المتعلقة بهذه العوالم ووُزِنت بموازين العالم الآخر فارتقت إلى قيم تفوق التقدير.. وفي هذه الحقبة انفصل السُكَّر عن القصب، وحَمَلت البراعم بزهورها، واكتسى التراب باللون الوردي بما يسطع عليه من أنوار مصدرها العوالم الماورائية، وبدأت زهور التوليب والزنبق والبنفسج والأقحوان تتمايل طربًا بما يهُبُّ عليها من نسائم الصدور المؤمنة، وأصبح الناس يَسمعون في كل ناحية سحرَ أعماق العقبى.

ثم اختلطت الأذهان، ونَحَت المحاكمة العقلية نحو الجدل الفارغ، وفقد الوجدانُ لسانه، وصُلِبت الروح، وخفتت نغماتُ القلب حتى باتت لا تُسمع، وعندها صارت الأرض من أقصاها إلى أقصاها مقبرة، وصارت مبانيها التي نسكن فيها توابيت، وتحولت الحياة إلى تحركات يائسة في تلك التوابيت، تحيط بها مناظر تبدأ بالوفيات وتنتهي بها أيضًا، وابتئست الروح وتعست، وباتت تعيش بين الضباب والدخان حالة من الوله وألم الفراق.

في مثل هذا الجو الخانق نصبت الأحاسيسَ البدنية والأفكارُ الجسمانية فخاخها على الطرق التي نمر بها، وبدأت -كقاطع طريق- تصطاد الأرواح المحرومة من الوجدان، وتُقدِّم لها أنواعًا من شراب قاتل حتى جعلتْها ركامًا من ذوي الهذيان، ركاماتٍ منغلقةً على القياس والمحاكمة العقلية، لا تُفكِّر ولا تفهم ولا تعرف وزن الأمور ولا تقويمها.

ومن ثم فإننا على وعي بأن الاستماع إلى الأحاديث القلبية بات ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى، فهي -كما نعتقد- تنطوي على أنفاس المسيح التي تحيي الموتى، ومنذ أنْ خُلقت الدنيا لايزال السعداء ممن حَلَّقوا في آفاقِ ما وراء السماوات وقَطعوا فيها

لقد خُلق الفؤاد وتكوّن من امتزاج العنايةِ الإلهية بالجوهر الإنساني، ومن هذا فإن الفؤاد الذي يحمل الختمَ السلطانيّ متداخل مع العوالم الروحانية والجسمانية في آن واحد.

المسافاتِ يَخرجون من بين رجال الروح، أولئك الذين تخطوا جسمانيتهم وتحرروا من قيود أبدانهم، لهم أجنحة مثل الملائكة وذوو أبعاد مثل الروحانيين، ومستقرهم الدائم أعماق الفؤاد.

إن رجال القلب هؤلاء الذين يمسكون بزمام العالَمَين كليهما، قد جالوا في سهول تُعرَض فيها ثرواتُ الجنان، في الحقب التي كان الناس يتسولون فيها على مفارق الطرقات، تنفسوا بالاستغناء، وتشبعوا بالاستغناء وحلَّقوا في الآفاق بالاستغناء.. فلم تَغبرَّ آفاقهم بغبار الدنيا وعَفَرها، ولم تدُخْ رؤوسهم بجاذبية الرياض والجنان، لقد بحثوا في أعمالهم كلها عن رضا "الحبيب"، وبذلك طلبوا التجارات الرابحة، وقابلوا حكمة وجود القلب بأكثرِ أنواع المقابلة إنسانيةً.

فلما ترنم هؤلاء عن أشواقهم من خلال مزج أصواتهم بالأنفاس الماورائية في أول حملة، استطاعوا في الخطوة التالية أن يرتقوا بأنفاسهم إلى العوالم التي تجري فيها المَجَرَّات.

لقد خُلق الفؤاد وتكوّن من امتزاج العنايةِ الإلهية بالجوهر الإنساني، ومن هذا فإن الفؤاد الذي يحمل الختمَ السلطانيّ متداخل مع العوالم الروحانية والجسمانية في آن واحد.

إنَّ كلًّا مِن تَعَمُّق الإنسان وحسنِه الداخليّ والخارجي بُعدٌ من أبعاد حياته القلبية، بل إن رونقه الظاهري وجاذبيته منوطٌ كلّيًا بحياته القلبية، وحينما يَصِل كلامُ القلب إلى الدماغ فإن شمعته تشتعل، وتتنوّر ذاتيةُ الإنسان مثل الطبقة التاجية الشمسية، وفي هذا الوقت الذي تتحول الروح بوجهها تمامًا نحو هاتف القلب تبدأ المشاعر تُطلِق أصواتًا وكأنها وَتَرٌ حساسٌ حرَّكَتْها ريشةُ عازف سرِّيّ وسحري، عندئذ يفيض الوجدان فرحًا واحترامًا، وتُحس الذاتُ الإنسانيةُ وكأنها أحيطت بنار العشق من كل

hiragate.com

الجوانب، وتنبري العينان بمشاعرَ كريمة لإطفاء الحريق وكأنهما رَجُلَا إطفاء، وتَفيضان بعَبراتٍ سخيّة كالشلالات.

وعندما تتعطل الإرادةُ ويَفقد الإنسانُ وعيَه فقد يختل التوازن في المشاعر وتخطئ الطريقَ، ولكن الفؤاد مختلفُ الحالِ تمامًا، حيث يكون خاضعًا مطأطِئ الرأس ودائمَ الحضور بين يديه ﷻ.

وعندما يقوم الإنسان بسياحة في عالم الفؤاد فإنه لا يقع في التيه ولا تتعثر به الطرق، وفي المراحل التي ينتاب الخوف جوادَه فلا يُقْدِم على المسير أو تتعثر قدماه فيراوح مكانه، إذا بالعشق يهب مغيثًا له ومُنْجدًا كالخَضِر عليه السلام، فيأخذ بخطام فرسه ويمر به من الفجوات التي أحدثَتْها الشبهاتُ والشكوكُ وكأنه بَرْقٌ وبُراق.

إنَّ كلاً من مشاعر الإنسان الداخليةِ والخارجية بمثابة جندي والقائد لها جميعا هو القلب، وهي بمثابة فَراشة والقلبُ بمثابة مصباح نوراني.. فينبغي أن يُطِلَّ القلب من موقعٍ عالٍ يُطلِقُ الأوامر فتصغي له سائرُ اللطائف، وينبغي أن يكون مثلَ النجم القطبي دائرًا حول نفسه يهتف باسمه تعالى قائلًا: "هو"، وتَطُوفَ المشاعر الإنسانية حوله ساجدة واضعةً جباهها على الأرض.

إننا جميعًا ضيوفٌ لدى بيت الفؤاد -نَفدي بقلوبنا مَن أشعر وجدانَنا بسلطنته- وعازمون على أن نضحّي بأرواحنا في سبيل سلطان الأفئدة، ومنتظرون لأوامره.

ومنذ اليوم الذي نَفَخَ فيه الحياةَ في أجسامنا من نافذة القلبوالوال لم نزل نمرّر مَكُّوكَنا بين الحسرة والوصال، ونحاول أن ننقش صورةَ أشواقنا.. فبَدَأت روحُنا حينًا من الوقت تهتز شوقًا وفرحًا عندما سَمعت النسائمَ التي هبَّت مِن صوب الحبيب، وأخيرًا طأطأنا رؤوسَنا ننتظر الوقت الذي سيَحين فيه مواربة باب الخلوة أمامنا.

ففي هذا الطريق الذي سلكناه ونحن نُنشد أناشيد العشق والشوق كان الفؤاد دليلَنا ومرشدنا متنزلًا إلى مستوانا، ونحن بالمقابل أخذنا على أنفسنا العهد بأن نلتزم السير وراء هذا الدليل المبارك ولا نفارقَه مهما كان ذلك مليئًا بالمحن والمعاناة. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية تحت عنوان: Gönül، العدد:١٣٩ (أغسطس ١٩٩٠). الترجمة عن التركية: أجير أشيوك. (**) محمد لطفي (١٨٦٨/١٩٥٦م) شاعر تركي.

ورود وجحود

زهورٌ تفوحُ ببَسْمٍ نَدِيّ
طيورٌ تغنّي بصوتٍ شَجيّ
إذا بيدِ الحقدِ طاحتْ وراحتْ
تمَزّقها باعتداءٍ عتيّ
ومَن قدْ حسِبْناهُ يصْحو احْتجاجًا
رأيناهُ يصْمتُ صَمْتَ الغَوِيّ

***

أحمد مصطفى الغر*

خيالات الماضي
حقائق الحاضر

بعض الأقاويل تُرجع جذور قصص الخيال العلمي إلى القرن الثاني للميلاد، مثل الكاتب "لوقيان السميساطي" في مؤلفه "قصص حقيقية"، كما أن الكثير يَعتبر حكايات "ألف ليلة وليلة"، أو حكاية "قاطع الخيزران" اليابانية العائدة إلى القرن العاشر للميلاد، أو مدينة الفارابي الفاضلة.. بدايات لهذا النوع من

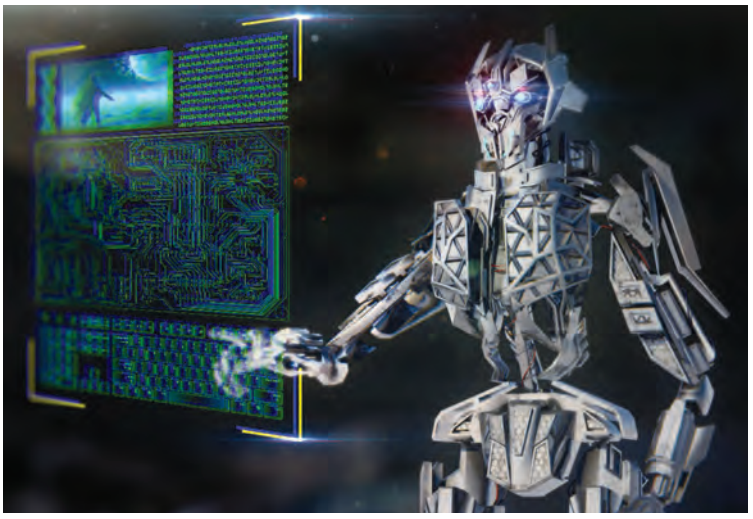

الأدب. لكن أدب الخيال العلمي -في حقيقة الأمر- يختلف عن ذلك تمامًا؛ فهو بالرغم من الحبكة الخيالية والأسطورية، يظل متسقًا مع النظريات العلمية وقوانين الفيزياء، ويحوي كثيرًا من المنطق والفلسفة والمبادئ التقنية والتكنولوجية، قلما يتم الاستعانة بقوى سحرية أو خوارق غير طبيعية، ولعل هذا أهم ما يجعله متميزًا عن الفانتازيا.

ربما تعود بدايات الخيال العلمي المقارب للواقع، إلى الروائي الفرنسي "جول غابرييل فيرن" عام ١٨٦٥م عندما كتب رواياته المتتالية التي كانت أولاها "من الأرض إلى القمر"؛ تلك الرواية التي استخدم فيها مدفعًا هائل الطول يُطلق منه قذيفة من الأرض لتسقط على سطح القمر ويصل ثلاثة رواد إلى القمر، تمامًا كما حصل بعد ذلك بقرن من الزمان تقريبًا، حين أصبح الرائد "نيل أرمسترونغ" أول إنسان يطأ سطح القمر وإن اختلفت طريقة وصوله نسبيًا عما ورد بالرواية. ففي نفس الرواية يصف "فيرن" القمر وصفًا دقيقًا، كما يؤكد على أن القمر خالٍ تمامًا من الهواء، وأن الجاذبية منعدمة في الفضاء؛ وفي عام ١٩٥٤م كتب تحفته الروائية "عشرون ألف فرسخ تحت الماء"، وفيها تنبأ بالغواصة "نيوتيلوس"، حيث وصفها كمركبة ضخمة تحت الماء ومعقدة التركيب، وقد اقتصرت الفكرة العامة من ذلك الوقت عن الغواصة بأنها كرة مفرغة يتم إدلاؤها في الماء بحبل، ثم تتابعت رواياته مثل "رحلة إلى مركز الأرض"، و"حول العالم في ثمانين يومًا" وغيرها.. وخلال رواياته تحدّث "فيرن" عن الكهرباء والغواصات والاختراعات الحديثة قبل أن تدخل حيز الوجود بعشرات السنين، وتوفي "فيرن" في أول القرن الذي تحققت فيه كل تنبؤاته.

أما الروائي البريطاني "هربرت جورج ويلز" الذي كان معاصرًا لـ"فيرن"، فتُقدِّمه كتب التاريخ كأحد مؤسسي أدب الخيال العلمي أيضًا، من أهم ميزاته أن جزءًا كبيرًا من كتاباته قدمت تنبؤات لما سيحدث في المستقبل؛ حيث تنبأ -في روايته "أول رجال على سطح القمر"-

جول غابرييل فيرن (Jules Verne)
(1828-1905)

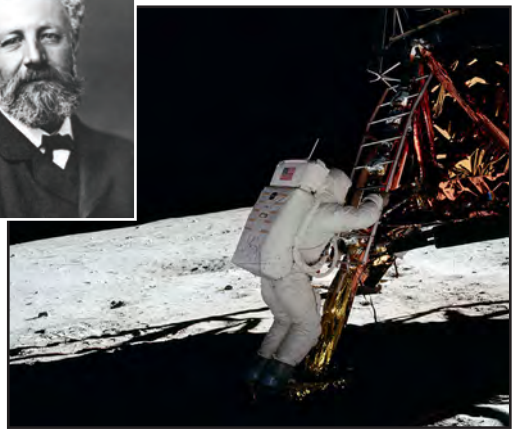

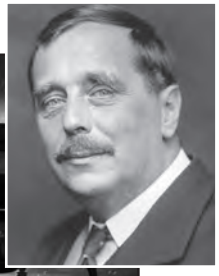

هربرت جورج ويلز (H. G. Wells)
(1866-1946)

إدوارد بيلامي (Edward Bellamy)
(1850-1898)

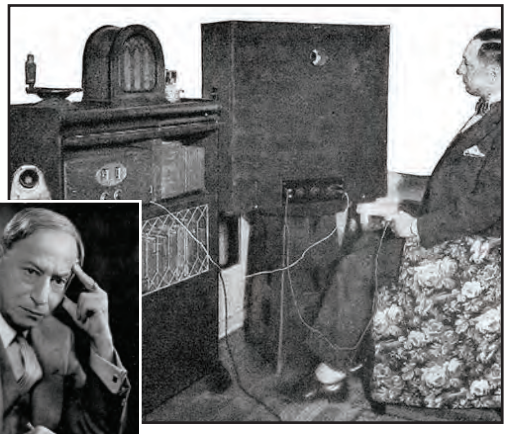

هوجو جيرنزباك (Hugo Gernsback)
(1884-1967)

بأساليب ريادة الفضاء، وفي عام ١٨٨٩م جاءت روايته "حرب العوالم"، حيث تمكن الغزاة من استخدام مدافع ليزرية ليدمروا المدن الأرضية. وبالرغم من أن فرضيات "نيوتن" و"ماكسويل" وقفت عائقًا وراء تصديق ذلك، إلا أن مجيء "ماكس بلانك" ومن بعده "أينشتاين" أسهم في تحقق ما تخيله "ويلز". كما نشر أيضًا كتابات مسلسلة في إحدى المجلات تحت عنوان "تجربة في التنبؤ" محاولاً التنبؤ بوضع العالم عام ٢٠٠٠ وما بعده، ونجح بالفعل في التنبؤ بتطور السيارات والقطارات، وانحلال القيود الاجتماعية على العلاقات الجنسية، وفشلِ ألمانيا عسكريًّا ونشوء الاتحاد الأوروبي. وفي مؤلفه "العالم يتحرر" تنبأ بقنبلة يمكنها محو مدينة كاملة، ورغم أن المبادئ العلمية التي ذكرها (قنبلة مبنية من الراديوم) لم تكن صحيحة، إلا أن بعض العلماء الذين عكفوا في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين على تطوير القنبلة الذرية، قالوا إنهم استمدوا الفكرة من كتاب "ويلز".

كثيرة هي الأمثلة التي وردت في أدبيات الخيال العلمي كأشياء ومخترعات خيالية، ربما أوردها المؤلفون كتنبؤات مستحيلة الحدوث، أو على سبيل الجذب ولفت الانتباه والإثارة للقراء، لكنها مع الوقت تحققت وصارت أشياء ملموسة على سطح الأرض.

"مارك توين" سبق وأن وصف الإنترنت في قصته "From The London Times of 1904" التي كتبها عام ١٨٩٨، وتحدث عن جهاز هاتفي سمّاه "تيليكتروسكوب" يَصل الكون كله ببعضه. أما الروائي "هوجو جيرنزباك" فقد حملت رواياته كمًّا كبيرًا من المخترعات التكنولوجية التي صرنا نستخدمها اليوم؛ منها التليفزيون بالريموت كنترول، ومسجلات شرائط الكاسيت، والرادار الذي وصفه تفصيليًّا. أما العام ١٨٨٨ فقد شهد رواية "النظر إلى الماضي" (Looking Backwards) التي تحدث فيها الروائي "إدوارد بيلامي" عن كروت الائتمان التي يتم استعمالها اليوم، إذ تحكي الرواية عن شخص ينام عام ١٨٨٨ ليستيقظ عام ٢٠٠٠، ليجد الحكومة الأمريكية تمنح كل مواطن كارت ائتمان يمارس به شراء السلع،

مارك توين (Mark Twain)
(1835-1910)

ويحصل من خلاله على نصيبه من الناتج القومي للبلاد.

لا يمكن إنكار أن روايات وأدبيات الخيال العلمي تزخر بتوقعات ونبوءات عديدة، سواء كانت علمية أو سياسية أو غيرها.. فالقمران التابعان لكوكب المريخ "فوبوس" و"ديموس" تم اكتشفاهما عام ١٨٧٧ عبر مرصد البحرية الأميركية، لكن هذا الاكتشاف قد سبقته نبوءة المؤلف الشهير "جوناثان سويفت" في عمله الخالد "مغامرات جليفر" المكتوب في عام ١٧٢٦، حيث تحدث عن قمرين يدوران حول الكوكب الأحمر. أما في عام ١٩٦٨ فقد قدم مؤلف الخيال العلمي "آرثر سي كلارك" وصفًا للجرائد الرقمية في روايته الشهيرة "٢٠٠١: أوديسا الفضاء"، حيث قدم "كلارك" وصفًا كاملاً للجرائد الرقمية تمامًا كما نراها اليوم، ومما يجب ذكره عن "كلارك" أيضًا، أنه قد تنبأ في دراسة له عن نهاية الحرب العالمية الثانية بعصر جديد تصبح فيه الاتصالات عبر الأقمار الصناعية، لكن إحدى المجلات رفضت نشر الدراسة معتبرة أنها خيالية أكثر من اللازم، وقد ألف "كلارك" أكثر من ١٠٠ كتاب، معظمها يدور في فلك الخيال العلمي والفضاء.

هذه الخيالات التي كانت في يوم من الأيام تقع في ضروب الأوهام والأساطير، باتت اليوم حقائق، فكثير من الأمور التي احتوتها تلك العوالم الخيالية، والقصص ذات الفرضيات المعقدة التي تَحدّث عنها بعض المؤلفين للخيال العلمي في الماضي من خلال قصصهم ورواياتهم، تحققت وكانت مصدر إلهام هام للمخترعين والعلماء فيما بعد.. فالكواكب المجهولة أصبحت الآن على وشك الارتياد بعد أن زارتها مركبات "ناسا" غير المأهولة.. وفكرة الحياة على سطح تلك الكواكب تحولت من مجرد فكرة خيالية وفلسفية في روايات الخيال العلمي، إلى نظرية علمية يتم بحث احتمالية حدوثها، بخلاف ذلك فإن الرحلات إلى القمر باتت تتم الآن بصورة دورية، والتعمق في جوف الأرض لم يعد مستحيلاً، ويُرجِع البعض أن المرآة السحرية كانت الخيال الملهم وراء اختراع التلفاز، والبساط السحري شكل النبوءة الأولى وراء اختراع الطائرة.

ربما لا يدرك مؤلفو قصص الخيال العلمي نتائج تلك الظواهر، أو النظريات التي يطرحونها في كتاباتهم، لكن بعد ما شهده العالم خلال القرن الماضي، فإن الخيال العلمي قد بات يتأطر في إطارات علمية جديدة، بحيث يتم النظر إلى أدبيات الخيال العلمي على أنها تحمل وجهات نظر فلسفية وآنوية لنظريات علمية واختراعات تكنولوجية قد تتحقق مع الوقت.. فالأمر لم يعد مقصورًا على الأوهام والخيال المشوق، بل صار خيالاً مجنَّحًا يرتبط بالمنطق العلمي أكثر من الأدب. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

د. محمد الصادقي العماري*

في تدبير الاختلاف الإنساني

إن رقي العلاقة الإنسانية وتحضّرها، قائم على مدى تفاعلها مع منهج الخطاب الإلهي؛ الباني للإتلاف، والمضيق لمساحة الاختلاف. ولقد جاء في الخطاب القرآني إشارات كثيرة لإقامة العدل في سياقات مختلفة، منها العدل مع الله، والعدل مع النفس، والعدل مع الناس، وذلك لأن الخطاب القرآني -على عكس القوانين الوضعية- لم يلحظ في موضوع العدل مجرد علاقة الإنسان بالإنسان فقط، بل لاحظ ذلك وغيره، مما يجعل النظر القرآني لضابط العدل أوسع وأشمل، يغطي كل جوانب حياة الإنسان.

العدل خُلق قرآني من أخلاق تدبير الاختلاف، ليس خاصًا بمجال القضاء فحسب، بل هو شامل لكل مناحي الحياة العامة والخاصة؛ فاستعماله يشمل الإنسان في خاصة نفسه، وكذلك علاقاته العامة مع المخالف، وهو معلم أخلاقي

لتدبير الاختلاف، يعيد التوازن والاستقرار للعلاقات الإنسانية، فهو خلُق توزن به الأعمال الشخصية، والعقود والمعاملات المالية، والأحكام القضائية، والأحكام السلطانية، والعلاقات الدولية.

مقصد مشترك للشرائع

أنزل الله تعالى الشرائع إلى الخلق لتنظيم العلاقات الإنسانية، وبعث الرسل والأنبياء لتدبير اختلافاتها، فكان خلُق العدل والقسط من المقاصد المشتركة بين هذه الشرائع.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(الحديد:٢٥)؛ يقول الريسوني: "لقد قررت الآية أن إرسال الرسل جميعًا، والبينات التي أوتوها، والكتب التي بُعثوا بها، والميزان الذي فيها ومعها، كل هذا لأجل مقصد واحد هو أن يقوم الناس بالقسط".

فالعدل مشترك ديني بين كل الشرائع السماوية، يقول سعيد النورسي رحمه الله: "أسس العدالة والفضيلة شيدها الأنبياء عليهم السلام، أي أن الأنبياء هم الذين أرسوا تلك القواعد والأسس"، فدلت الآية الكريمة على أن غاية إرسال الرسل والكتب هو القيام بالقسط، فكل الرسل وكل الرسالات التي أُرسل بها الأنبياء، وكل الموازين التي جاءوا بها، هي من أجل إقامة العدل، وهو مطلوب من الناس جميعهم، وهو (العدل) الذي يحفظ لكل ذي حق حقه، بغض النظر عن معتقده أو فكره أو جنسه أو لونه.

أساس العلاقة بين الناس

جعل القرآن الكريم أساس العلاقة بين الناس؛ العدل والقسط، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾(النساء:٥٨)؛ الحكم بين الناس لا بين المسلمين فحسب، وجاء بأقوى صيغة للتكليف والإلزام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾(النحل:٩٠)؛ يقول العز بن عبد السلام بعد ما اعتبر هذه الآية أجمع آية في القرآن للحث على المصالح والزجر عن المفاسد: "الألف واللام في "العدل" للعموم والاستغراق، فلا يبقى من دقّ العدل وجَلّه شيء إلا اندرج في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾، والعدل هو التسوية والإنصاف"، ويقول أبو زهرة في سياق الاستدلال بهذه الآية: "كل النظم الإسلامية قامت على العدالة، حيث كانت الشعارات تدعو إلى التسامح ولو مع الظالم ويقول قائلها استغفروا لأعدائكم، فالإسلام يقول اعدلوا مع كل إنسان ولو كان عدوًّا مبينًا".

فهذه الآية جامعة لأصول التشريع والعدل يقول ابن عاشور في "التحرير والتنوير": "إعطاء الحق إلى صاحبه، وهو الأصل الجامع للحقوق الراجعة إلى الضروري والحاجي من الحقوق الذاتية وحقوق المعاملات.. ومن هذا تفرعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية، من آداب، وحقوق، وأقضية، وشهادات، ومعاملة مع الأمم"، فالعدل خلُق أساسي في تدبير اختلاف الناس، لأنه -حسب ابن عاشور- الأصل الجامع لكل الحقوق الراجعة إلى الضروريات والحاجيات.

والخطاب القرآني مليء بالآيات الدالة على وجوب العدل بين الناس، وتحريم الظلم والبغي بينهم.. فقضية العدل مركزية في القرآن الكريم، تذوب معها كل مظاهر الاختلاف الإنساني، فهي تقر العدل والقسط المطلق مع جميع الخلق، في تعال تسام عن اللغة أو اللون أو الفكر والعقيدة. يقول تعالى في الإشارة إلى أن أساس العلاقة مع النفس والأقارب، والفقير والغني، والقريب والبعيد، هي خلق العدل والقسط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾(النساء:١٣٥).

فإذا كان القرآن الكريم يقيم العدل ضابطًا قويًّا، ينبغي أن يلتزم به حتى بين الأقارب وبين الولد وأبيه رغم ما يكنه لهم من حب وعطف. فالآية تدل دلالة صريحة على أنه لا طبقية في الإسلام، بل الجميع أمام العدالة سواء، لا فرق بين غني ولا فقير، ولا فرق بين مسلم وكافر، ولا فرق بين أبيض وأسود.. والمؤمن مطالب بالقيام بالحق ونصرته، وأن يؤيد الحق حيثما كان.

والخطاب القرآني يأمر بالعدل وينهى عن الظلم للمخالف الذي بينه وبين المسلمين كراهية وشنآن، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ

hiragate.com

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾(المائدة:٢)، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾(المائدة:٨)، يقول القرطبي: "أيْ لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد صديقًا كان أو عدوًّا، ولهذا قال: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، أيْ عدلكم أقرب إلى التقوى من تركه"، ويقول أبو زهرة : "والعدل ليس موالاة الأولياء ومعاداة الأعداء، إنما العدالة للجميع على سواء.. فالعدالة مع الأعداء المبغوضين كحاله مع الأولياء المحبوبين أقرب للتقوى".

التعارف والتعاون الإنساني

التعارف والتعاون قضية واحدة، فلا يمكن الفصل بينهما، لأن التعاون الإنساني ينبني على التعارف بينهم، فالمتنافرون المتناكرون لا يحصل بينهما تعاون حقيقي، ولا يحصل بينهما تآلف كذلك، فالتنوع والاختلاف البشري رجالاً ونساء، شعوبًا وقبائل وأممًا، مختلفة في الطبائع والأخلاق، وفي المواهب والاستعدادات، في الألوان والألسنة، في الشرائع والمناهج، في الفكر والثقافة والحضارة؛ لأجل التعارف.

يقول عبد الله السعدي في هذا التنوع: "لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبًا وقبائل لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف"، وكلام عبد الله السعدي يدل على بناء التعاون على التعارف، كما أن هناك أمورًا أخرى تتوقف على التعارف -حسب السعدي- غير التعاون.

ويقول أبو زهرة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣) بأن هذا النص القرآني يشير إلى ثلاثة معان سامية، منها "المعنى الثاني الذي دلت عليه الآية الكريمة أن الاختلاف في الشعوب والقبائل والأجناس يوجب التعارف، ولا يسوغ التخالف، والتعارف يقتضي تعاون أبناء الأرض على استغلال كل ينابيع الثروة في الأرض، بحيث يفيض أهل كل إقليم على الآخر بفضل ما عنده، من غير بخس ولا شطط،

العدل خُلُق قرآني من أخلاق تدبير الاختلاف، ليس خاصًّا بمجال القضاء فحسب، بل هو شامل لكل مناحي الحياة العامة والخاصة.

حراء

ومن غير منٍّ ولا أذى، ويقتضي المساواة في أصل الحقوق الإنسانية الثابتة من اتحاد الأصل، ويقتضي العدالة، ولا يرهق جنسًا آخر بظلم أو أذى أو مضايقة أو استعباد"، وقال في موضع آخر: "فبهذا النص يبين القرآن الكريم أن العلاقة التي يجب أن تكون السائدة، هي التعارف، والتعارف تكون معه المودة، والتعاون وإقرار السلام، وإحياء التراحم".

فلا تعاون حقيقي بدون تعارف، فالتعاون الإنساني لا يقوم ولا يثمر إلا على أساس التعارف الإنساني، يقول الإمام السيوطي في إشارة إلى هذا المعنى: "إن الإنسان الواحد وحده، لا يستقل بجميع حاجاته، بل لا بد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف".

والتعارف والتعاون كما بيّن القرآن الكريم، هو ضرورة اقتضتها المواطنة ووحدة الدار، فلا يمكن بناء الأوطان وتنميتها في ظل الإقصاء، أو النزاع الطائفي والديني أو الحزبي. فبناء دولة المؤسسات اليوم، يقتضي التعاون، وفتح قنوات التواصل والتعارف، من أجل العيش المشترك. يقول محماد رفيع: "فالتعارف أساس دعا إليه القرآن، وضرورة أملتها ظروف المشاركة في الدار أو الوطن بالتعبير العصري، وإعمال لروح الأخوة الإنسانية بدلاً من إهمالها، فقد نص القرآن الكريم بإطلاق ومن غير تقييد ولا تخصيص، أن من مقاصد التنوع بين البشر؛ التعارف والتعاون".

ويشير القرآن الكريم إلى التعارف الإنساني، وفتح قنوات الحوار والتواصل، من أجل التكامل المعرفي والأخلاقي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣)، يقول بديع الزمان سعيد النورسي: "أيْ خلقناكم طوائف وقبائل وأممًا وشعوبًا، كي يعرف بعضكم بعضًا وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية". وقد يُفهم من النص القرآني

hiragate.com

حصر التعارف على الشعوب والقبائل، بل التعارف مشروع مفتوح لتدبير كل مظاهر الاختلاف.

والتعارف معناه تبادل المعرفة والخبرة بين الأفراد، وبين الأمم والحضارات، لتحقيق البقاء والرخاء والهناء للبشرية جمعاء. والتعارف ليس معناه الاجتماع حول طاولة لتبادل الآراء فحسب، بل الحوار الحضاري أو التعارف بالمفهوم القرآني يعني ذلك، ويعني بالأساس تبادل المنتجات الحضارية ذات القيمة الإنسانية، سواء كان إنتاجًا ماديًّا أو إنتاجًا معنويًّا.

ودعا الخطاب القرآني إلى التعاون على كل برّ وتقوى، والنهي عن كل إثم وعدوان، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢)، والخطاب هنا موجه إلى المجتمع الإنساني بكل أفراده ودوله ومنظماته وجمعياته، قال الإمام القرطبي: "وهو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى". ويقول ابن حزم: "أما التعاون على البر والتقوى فمتوجه إلى كل اثنين فصاعدًا"، حيث أمر الله تعالى الإنسان بالتعاون على البر والتقوى دون إثم ولا عدوان. وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ يشمل الأعمال الخيرية، والمشاريع الاجتماعية في التعليم والصحة والاقتصاد والإسكان.. قال ابن خويز منداد في أحكامه: "والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه، فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته"، ولا شك أن هذا تمثيل لا حصر، فكل ما ينطبق عليه مسمى البر والتقوى فيجب فيه التعاون، وكل عمل يصلح الارتفاقات التي بني عليها نظام الإنسان، فهو من البر الذي يجب التعاون عليه.

فالقرآن خطاب هداية الناس إلى ما يصلح علاقاتهم مع خالقهم، من غير أن يغفل الواجب الاجتماعي والإنساني، المتعلق بعلاقات الناس فيما بينهم، وإدارة اختلافاتهم، ومن ثم يعود معنى البر والتقوى إلى الصلاح والتقوى الاجتماعيان.

والنهي عن التعاون في الإثم والعدوان في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يكون بمحاسبة المفسدين، ورد المعتدين والمغتصبين، وتفعيل القوانين الدولية الخاصة بالمخالفات التي تقوم بها بعض دول الاستكبار العالمي أو المنظمات التابعة لها، وتفعيل القوانين الوطنية والمحلية في حق مخالفات الأفراد، والجمعيات، والمنظمات، والأحزاب الوطنية. ■

(*) رئيس مركز تدبير الاختلاف للدراسات والأبحاث بفاس / المغرب.

المراجع

(١) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، الريسوني، دار الكلمة، القاهرة-مصر، ط/١ (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).

(٢) كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، محاكمات، المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم صالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة-مصر، ط/٤، (٢٠٠٤م)، ص:١٣٩.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (١٤١٤هـ/١٩٩١م).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/١، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

(٦) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولي بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط/٣.

(٧) النظر الشرعي في بناء الائتلاف وتدبير الاختلاف: دراسة تأصيلية تحليلية، محمد رفيع، دار السلام، القاهرة، ط/١، (١٤٣٣ه/٢٠١٢م).

(٩) المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

(١٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد ابراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت.

(١١) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، خير الدين التونسي، تحقيق: محمد الحداد، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).

(١٢) حجة الله البالغة، الدهلوي، حققه وراجعه السيد سابق، دار الجيل، ط/١ (١٤٢٦ه/٢٠٠٥م).

(١٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٧هـ، بيروت.

hiragate.com

سعاد محمد اشوخي*

بين المحن والمنح

نحن ما كنا نبكي وأصبحنا نبكي صباح مساء، كأننا كنا ندخر الدمع للوجع الذي لا ينتهي، وأحلامنا أصبحت بضع انكسارات لا تعرف طريقها إلى الواقع، ونومنا غفوة وما أعزها في ليالي البؤس الطويلة. هذه السماء ما زالت تمطر علينا وابلاً من الهم والغم، فأصبحنا كشخص منحوس لا يقف إلا ليسقط مرة واثنتين وثلاثًا، وزد من عندك فأنت تحسن العد والقراءة. هكذا قال صاحبنا وبكى.

الحزن نقطة التحول التي تجرك إلى البحث عن السعادة بعد أن انقطع حبلها، إلى البحث عن أسبابها وعن مواطنها في أشخاص صادقين، إذا حزنت كانوا لك إكسير السعادة.

الابتلاء لا لون ولا شكل له، يأتيك من حيث لا تدري؛ قد يسقط من السماء، وقد يخرج من الأرض، قد يأتيك من عدو، والأفظع حين يأتيك من صديق وحِبّ وأخ.

لا تلم السماء إذا رمتك بحَجَر ابتلاء، فهذا اختبار رباني، والله ينظر إليك أتصبر عليه أم لا.. ولكن انظر إلى علاقتك مع والديك، مع إخوتك، مع جيرانك، مع كل ذي رحم، مع الآخرين أيًّا كانوا.. انظر إلى نفسك وإلى طريقتك في الحياة، هل أنت راض عنها، وهل أنت راض عن الدرب الذي تسير فيه.

فإذا كانت علاقتك بكل هؤلاء صفحة بيضاء لا تشوبها نقطة سوداء، فاعلم أن هذا نصيبك، ولكل واحد منا نصيبه من الوجع في هذه الحياة.

إن الحزن هو ذلك المؤشر الذي يشعرك بلحظة سبقت، لم تُلقِ لها بالاً كنت فيها سعيدًا فرحًا. الحزن نقطة التحول التي تجرك إلى البحث عن السعادة مرة أخرى بعد أن انقطع حبلها، والبحث عن أسبابها وعن مواطنها في أشخاص صادقين؛ إذا سألتهم صدقوا، وإذا ائتمنتهم كانوا حافظين، وإذا حزنت كانوا لك إكسير السعادة.. يكفي أن يبتسموا حتى ترتسم السعادة على وجهك من جديد.

قد يأتيك الابتلاء بسبب خِلّ وصديق.. من أين ما جاءك وجدت النحس. كذلك بعض الناس في حياتنا متعوس منحوس، إذا وضع يده في البحر جف، لذلك اعرف من تصادق.

قد ترى نصيبك في هذه الدنيا في زهرة، وإذا ما اقتربت وجدتها دفلة[1] لا ربح لك فيها إلا المنظر. فهل أنت جبان إلى درجة أن تتخلى عن طموحك وتَقنع بالرخيص؟ هل أنت ضعيف حتى تغرّك المناظر الخداعة؟ أنت جسور ما يكفي لتتخطى كل العقبات حتى تصل إلى زهرة أخرى هي خير وأبقى، وإن كانت محاطة بالأشواك إلا أنها غنية بما تحمله من جمال وعبير وسحر أخاذ.

قد يأتيك الابتلاء بسبب أخ أو حبيب، وتسود الدنيا في عينيك فتهجر كل مصادر الفرح، وتعاقب نفسك على ذنب لم يكن لك فيه سوى النية الطيبة. أيستحق الأمر ذلك؟ أيستحق الأمر أن تعيش في ظلام وتخاف النور بعد أن وهبك الله حياة تشع نورًا؟ هذا أيضًا ابتلاء والحل بين يديك، فلا تنتظر من يخرجك من قوقعتك بل اكسرها وانطلق فالحياة لم تخلق للجبناء، وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابًا.

تشجع وانطلق.. لا يهم الانكسار بقدر ما يهم الإصرار على الانتصار، فالنهايات المؤلمة تشحنك بالقوة لتدخل تجربة جديدة بزاد التحدي والقوة. قوة تدفعك إلى الأمام، تحملك إلى أن تفرش طريقك بالورود؛ ورود الأمل والإيمان، ورود النجاح والفلاح، وأَبْشِر؛ فمن جنس العمل يكون الحصاد.

انظر إلى هذا الوعد ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾(التوبة:١٠٥)، إنه الخطاب الرباني الذي يحثك على الجد والعمل، على الاجتهاد في إخراج عملك في أحسن صورة، على المثابرة في البحث عن الأسباب والأخذ بها.. فكل مَن على هذه الأرض مسخر لما خلق له، وأنت خلقت لتسعى في الأرض وتضرب فيها، ولم تخلق حجرًا لتستقر حيث وضعت ولا كرسيًّا لتبقى حيث تركت. أنت نفس وروح، نبض ودم، فحرك جناحيك للعلا ولا تكن أجبن من نعامة، تنال الرضى وترى الجزاء.

وتحصن.. فالإنسان يحتاج إلى تميمة ربانية تحميه من الضعف والكسل، والهم والغم، والعين والحسد،

hiragate.com

والحقد والكراهية، والعصبية والذاتية، والمحنة والابتلاء.. تميمة مبدؤها الإيمانُ بالله، وركنها الأساس اليقينُ التام في قضائه وقدره، عدله وجبروته، جزائه وانتقامه.. ألم يجعلنا فتنة لبعضنا البعض؟ لأجل ذلك لا يكفي أن تصلّي وتصوم لتحصن نفسك من شر الآخرين؛ إذا لم يقترن ذلك بإيمان كامل بأن رحمة الله هي التي تدرأ عنا البلاء. فالدنيا ليست جنة، فهناك بشر من طينة الشياطين عملهم إفساد سعادة البشر بالتشكيك في قدراتهم، بل حتى في معتقداتهم وإيمانهم. فيكفي أن تنجح في شيء لتحسد، ويكفي أن تفرح بأبنائك لتحسد، ويكفي أن لا تخطئ باب المسجد حتى تحسد.. بسيطة أسباب سعادتنا، وكبيرة عين الشيطان في الحسد.

قد تبتلى بشخص مريض حاسد حاقد لا يحب السعادة للآخرين، فتجده يصافحك بيد ويحفر تحت قدميك بأخرى وبشتى أساليب الشر ما تعرف منها وما تجهل، المهم بالنسبة له أن تفقد إيمانك بالله وتسقط ضعيفًا كافرًا.. فلا أنت نعمت بدنياك ولا فزت بأخراك.

الإنسان لا يدرك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(آل عمران:١٤٠)، أيْ يا ابن آدم الدنيا عجلة دائرة بين الناس، وما جعلتني أمرّ به اليوم من سوء كانت أصابعك سببًا فيه، سيصيبك غدًا شئت أم أبيت وستذوق من الكأس ذاتها، إنه حكم الله ألا فانتظر. إنه أمر الله، أليس الصبح بقريب؟ أما كنت تدري ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(الأنفال:٣٠)، أليس هو القائل: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾(الصافات:٢٤)، أو أتعرف يا بن آدم عما ستسأل؟ ستسأل عن كل ما فعلت.. ستسأل عن كل ما قلت.. وسيأتي ذلك السجل شريطًا أمامك فتقول: يا ويلتي! كما قالوا: ﴿يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾(الكهف:٤٩)، وستعرف أن الله لا يظلم أحدًا.. فكيف بالمظلوم إذا دعاه؟ أتعلم أن ليس بين الله ودعوة المظلوم حجاب؟ فاحذرْ إن انتقام الله شديد، ولن ينفع أمامه لا مال ولا جاه ولا حسب ولا نسب.

لا يهم الانكسار بقدر ما يهم الإصرار على الانتصار، فالنهايات المؤلمة تشحنك بالقوة لتدخل تجربة جديدة بزاد التحدي والقوة؛ قوة تدفعك إلى الأمام، وتحملك إلى أن تفرش طريقك بورود الأمل والإيمان، ومن جنس العمل يكون الحصاد.

الدنيا حقيرة لا تساوي جناح بعوضة، لأجل ذلك لا تقنط من الابتلاء وتقبله بعين الرضى، فالذي ابتلاك أدرى بك وبما تعيش، وكلما شكرت عوّضك خيرًا.. لا تستهن بقدرته وحكمته، فكل ما يحدث في حياتك لحكمة.. قد تمرض لتعرف حب الآخرين لك، لتعرف أنك لست وحدك.. وقد تفقد عملك ليأخذه غيرك كان أحوج إليه منك، ويبدلك أنت عملاً آخر هو خير لك وفيه رزقك الذي لن يمنعه أحد عنك.. فالحياة ابتلاءات لا تنتهي.. مرض وفقد وفشل.. فكم رأينا من مرض، منه ما برئ ومنه ما اتخذناه رفيقًا مقدرًا.. وكم فقدنا من أحبة وبكينا.. ثم تعودنا الفقد والغياب. وكم كانت سقطاتنا موجعة تعلمنا الوقوف بعدها بثبات.. وما أعظم ما واجهنا من مصائب ومكائد مرت تعلمنا منها دروسا خالدة.. وبعد هذا، أليست المحن منحًا؟ أليست عين الله ترعانا؟

الحياة أكبر من سماء ورقعة أرض.. الحياة التي نعيشها دين ومعاملة، عمل وامتحان، فشل ونجاح، صحة وسقم.. الحياة بسمة ودمعة.. الحياة هدايا فرح وابتلاء.. الحياة مشتل الغد فأحسن الزرع، واختر لنفسك الآن أين سيكون الحصاد، أفي الجنة أم في النار، ولا تفقد الأمل ودق باب الله فلا يرد عند أعتابه طلب. ■

(*) كاتبة وباحثة مغربية.

الهامش

(١) نبتٌ مرّ، زهره كالورد الأحمر وحَمْله كالخرّوب من الفصيلة الدِّفليَّة يُتّخذ للزينة.

hiragate.com

د. ناصر أحمد سنه*

المحاكاة الحيوية

هل كان لنا أن نقطع المسافات بين مشارق الأرض ومغاربها عبر الطائرات لولا محاكاة البشر طيران الطيور؟ عندما أراد الإنسان الأول تصوير نفسه على جدران أقدم الكهوف، رسم جسده برأس طائر، تحقيقًا لأشواقه الدفينة والعريقة في الطيران.. وبعد ذلك بعصور جاء "أبو القاسم عباس بن فرناس الأندلسي القرطبي" (٨١٠-٨٨٧م) ليبادر بمحاكاة طيران الطير أيضًا؛ فكسا نفسه الريش وطار بجناحين لمسافة ثم سقط وتأذّى. ثم حقق الفرنسيان "جان ف. بيلاتر دي روزييه"، و"الماركيز دي أرلاند" عام ١٧٨٣م أول ارتفاع في الجو في بالون هواء ساخن. وأكمل المسيرة الأخوان الأمريكيان "أورفيل"، و"ويلبر رايت" عام ١٩٠٣م بابتكار آلة تطير عبر الهواء، وقاما بأول رحلة رسمية بالطائرة عام ١٩٠٨م. وفي عام ١٩٩٥م دُشنت الطائرة بوينج ٧٧٧ لخدمة المسافرين، وهي أكبر طائرة نفاثة ثنائية المحركات.

التصوير بالموجات فوق الصوتية

في سبعينيات القرن الماضي أُدخل إلى علم الطب والجراحة جانب تشخيصي باهر هو التصوير الطبي بالموجات فوق الصوتية (Medical Imaging Ultrasound)، حيث يعتمد هذا التصوير على إرسال موجات صوتية عالية التردد وذات طاقة منخفضة إلى داخل الجسم، ثم يتم عبر جهاز

حاسب آلي متطور تسجيل ارتداد هذه الذبذبات بعد ارتطامها بأسطح الأعضاء الداخلية، وبقياس زمن الذهاب والإياب يتم تحديد أعماق جميع النقاط، وتكوين صورة طبية تشخيصية للأعضاء والأنسجة على شاشة العرض. لقد حاكت هذه الأجهزة قدرة الخفافيش والدلافين على الحياة والتواصل بظاهرة الصدى. إن الخفافيش تطير ليلاً ومعظمها يعيش داخل كهوف مظلمة، إذ تقوم بتحديد أبعاد الأشياء أو الفرائس عبر إرسال واستقبال الموجات فوق الصوتية. ولهذه الميزة (نظام الاتصالات فوق الصوتي والسمعي) دُربت الدلافين على كشف وإزالة الألغام البحرية والرصد الوقائي لموجات تسونامي، هذا فضلاً عن ابتكار الأنظمة الرادارية وأجهزة "السونار" التي تستخدمها السفن والغواصات.

الأقمشة المضادة للرصاص

يَصنع كثير من الحشرات خيوطًا حريرية، لكن حرير العنكبوت متفرد ومتميز؛ فخيوط العنكبوت الحريرية أقوى من الفولاذ بخمسة أضعاف ومع ذلك فهي مرنة جدًّا، كما لها القدرة على التمطط أكثر من النايلون بنحو ٣٠٪. وقد استطاع الإنسان تقليد نسيج العنكبوت ومحاكاته في أنواع متطورة من أحزمة الأمان، وفي خيوط العمليات الجراحية، والأربطة الاصطناعية، والحبال والكابلات خفيفة الوزن، والأقمشة المضادة للرصاص.

الشريط اللاصق الذاتي

استلهم الإنسان ملابسه من جلود الحيوانات وفرائها، وأوراق الأشجار وفروعها.. لكن هل سألت يومًا عن مصدر فكرة شريط اللاصق الذاتي "فيلكرو" (Velcro) الذي يلصق ويفك بسهولة، إنه يستعمل بكثرة في السترات والحقائب والأحذية الرياضية.. ثم هل شاهدت قشور الثمار والبذور الشائكة المتساقطة لبعض النباتات وهي تلتصق بفراء الكلاب أو ملابس المارة؛ لقد لاحظها المهندس السويسري "جورج دو ميسترال" (George De MeStral) عام ١٩٥٧ عالقة بفراء كلبه وتكسوها خطاطيف صغيرة، فانكب على دراستها،

إن جلد سمك القرش يمتاز بقنوات على شكل "U" يتولّد خلالها دوامات مائية صغيرة تقلل من الاحتكاك، وقد تم استلهام في صناعة ورق لتلميع الزجاج وفي لباس السباحة الرياضي.

وبعد ثماني سنوات من البحث والتجريب، استطاع تحويل الظاهرة إلى تطبيق اكتسح العالم.

استلهام مواد وآلات جديدة

يهدف علم التقليد الإحيائي إلى إنتاج مواد وآلات أكثر تعقيدًا عبر محاكاة الطبيعة، فالكون يحتوي على منتجات عملية ونظيفة ومرنة وخفيفة وقوية.. فعند البشر والحيوانات، يشكّل البروتين الليفي "الكولاجين" أساس المركَّبات التي تعطي الصلابة للجلد، والأمعاء، والغضاريف، والأوتار، والعظام، والأسنان باستثناء ميناء الأسنان.. ففي الأوتار التي تربط العضلات بالعظام، يتجلّى جمال الدقة والتقدير والروعة الهندسية؛ إنها مذهلة لصلابة أليافها المحتوية على الكولاجين وطريقة نسجها. أما الوتر في الساعد فهو حزمة مجدولة من الكابلات -مثل الكابلات المستعملة في جسر معلق- وكل كابل هو حزمة مجدولة من كابلات أرفع، وهذه الكابلات الأرفع هي حزمة مجدولة من الجزيئات التي هي حزم لولبية مجدولة من الذرات.. فماذا يحدث لو أُدمجتْ ألياف الكولاجين المرنة والمطاطة (Stretchy) في معادن هشة؟

وعليه فإن جلد سمك القرش -كسطح خشن- يمتاز بقنوات على شكل حرف "U" يتولّد من خلالها دوامات مائية صغيرة تقلل من الاحتكاك؛ حيث تم تقليد خواصه تلك، في صناعة ورق لتلميع الزجاج، وفي لباس السباحة الرياضي.

ويشكِّل السليلوز أساسَ المركَّبات النباتية عوض الكولاجين، ويعطي الخشب العديد من خصائصه المطلوبة، وقد وُصف بأنه مادة منقطعة النظير في مقاومة الشد. ومن نباتات منطقة البحر المتوسط وعيدانها القوية

hiragate.com

تبدي ورقة زهرة اللوتس تجعدات (ثنيات) وبلورات شمعية بارزة عن سطح الورقة مسببة خشونة سطحية ميكروسكوبية، وتلتصق الأتربة على سطحها بقطرات الماء، ثم بقوة النسيم العابر تتدحرج قطرات الماء والأتربة فيحدث التنظيف الذاتي، وقد طبقت هذه الآلية في صناعة الأقمشة والزجاج.

-كالبوص- دشن مشروع لابتكار "عود" مشابه للبوص يتميز بالمتانة الميكانيكية، وخفة الوزن، وقلة التكلفة، والقدرة على الاحتباس البخاري، كما أنه -مثل نبات ذنب الخيل- يتميز بقنوات وظيفية تُفتح في جدار العود، وذلك لمد توصيلات الوقود والمياه والكهرباء. وتقليدًا لنبات "اللبانا" المتسلق الذي ينقل المياه حتى مسافة كيلومتر واحد، يمكن نقل السوائل إلى الأعلى بلا مضخات، كما يساعد تطبيق هذه التقنية، على ترشيد المياه المطلوبة للزراعة ومنع تبديد كميات كبيرة منها، وتوفير الطاقة المستخدمة في المضخات. هذا وقد خصصت ألمانيا حوالي ٥٠ مليون يورو دعمًا لمثل هذه الأبحاث.

وبالاعتماد على علوم المواد البوليمرية الذكية والفعالة كهربائيًا، يمكننا إنتاج عضلات اصطناعية قوية ومتينة ومرنة، تساهم في إنتاج روبوتات متعددة الأرجل والأذرع، بحيث تركض بسرعة كبيرة، وتحمل أوزانًا، وتتسلق المنحدرات، وتغير شكلها، وتطير كالطيور، وتحفر القنوات كالسنجاب، وذلك كله بهدف استعمالها في الرحلات الفضائية المستقبلية. وساهمت مركَّبات ألياف الجرافيت/الكربون في ظهور جيل جديد من قطع الطائرات والمركَبات الفضائية، والمعدات الرياضية، وسيارات سباق "الفورمولا ١"، واليخوت، والأطراف الاصطناعية الخفيفة الوزن.

ويمتلك علم محاكاة الطبيعة التأثير الهام في تصنيع وتركيب المواد النانوية التي أحدثت ثورة هائلة في العديد من المجالات الحيوية، كالعمل على تصنيع روبوتات نانوية تُستخدم طبيًا لاجتياز الحواجز الفسيولوجية (دم-دماغ) لمعالجة أمراض دماغية، وفي صناعة الحواسيب الإلكترونية.. وقد تم استثمار ومحاكاة خواص خيوط العنكبوت في التكنولوجيا النانوية عبر جهاز "الغزل الكهربائي"، من أجل صنع ألياف نانوية قوية وناعمة تستخدم في التطبيقات الهامة كالفلاتر والمرشحات.

الحوسبة العضوية، والهندسة المعمارية والطبية

مُدهشة الطرق المنظمة تلقائيًا لحشرات النمل؛ فعندما تصادف الحشرات مصدرًا للطعام، تبتكر أقصر وأسرع الطرق لمستعمراتها. فكيف تبرع في ذلك رغم محدودية قدراتها الحسية يا ترى؟ بينما يقضي سائقو السيارات في بعض دول العالم سنويًا نحو ٣٩ ساعة في زحمة السير بسبب الإشارات المرورية العاملة وفق برنامج زمني ثابت ومحدد مُسبقًا، دون مراعاة التوزيع الآني ومتغيرات الكثافة المرورية.. أليس من الأفضل تطوير أنظمة ذكية تتأقلم مع الوضع المتغير؟ هذا وقد سعى العاملون إلى مبادرة "الحوسبة العضوية"، حيث قاموا في مدينة "دارمشتات" عام ٢٠١٦، بتركيب إشارات مرورية ضوئية تستجيب بطريقة ذكية ومرنة لمتغيرات الكثافة المرورية. وفي مجال وسائل النقل، تؤدي تغيرات ضغط الهواء إلى مشكلات سلبية كلما عبر قطار من نفق، مما يتسبب في تذمر السكان من الصوت المزعج على بعد ربع ميل، الأمر الذي دفع إلى محاكاة انسيابية مناقير الطيور التي تصطاد الأسماك بسلالة دون جلبة، وابتكار قطار بواجهة طويلة مستوحاة من منقار الطيور.

وثمة بناية في "هراري-زيمبابوي" فيها نظام داخلي لمراقبة المناخ، مستوحاة من تلال النمل الأبيض؛ فثمة علاقة رائعة بين بنية تل النمل ودرجة حرارته الداخلية وتهويته. ولقد شاهد المهندسون وباحثو المواد في جامعة "كانساي" اليابانية، إمكانات في بنية فم البعوض، وتم ابتكار الإبرة الدقيقة التي تخترق الجلد، وباستخدام الضغط تحقق الاستقرار والانزلاق دون ألم.

وتُبدي ورقة زهرة اللوتس، تجعدات (ثنيات) وبلورات شمعية بارزة عن سطح الورقة مسببة خشونة سطحية ميكروسكوبية، وتلتصق الأتربة على سطحها بقطرات الماء، ثم بقوة النسيم العابر تتدحرج قطرات

hiragate.com

الماء والأتربة فيحدث التنظيف الذاتي، وطبقت هذه الآلية في صناعة الأقمشة والزجاج.

وتعامل البشر مع الطبيعة -البرية والبحرية- كمستودع صيدلاني هائل، فاستخلص منها الكثير، وسيظل يحاكيها فيما يسمى "الطب الأخضر"، وقاية، وعلاجًا، وتخديرًا. وثمة تطبيقات مستوحاة من الطبيعة الفسيولوجية لجسم الإنسان، مثل الحساسات الحيوية للتذوق والشم، حيث يتم تقليد الأنف واللسان البشري عبر ما يسمى "اللسان/الأنف الإلكتروني" التي تعمل كحساس لضبط البيئة المحيطة والمراقبة النوعية للأغذية، وتحليل أعراض المرضى، وتحسس العوامل الممرضة في أجسامهم ودمائهم، وتشخيص التعرض للمركبات الخطرة وتلوث البيئة.

ناقلات الحركة والمحركات النفاثة الطبيعية

تُبقي "ناقلات الحركة" (Gearboxes) والمحرِّكات النفَّاثة العالَم في حركة مستمرة، فتعمل على تغيير السرعة في السيارات لينال الإنسان الفائدة القصوى من محرِّكاتها. بينما تتحلى الذبابة، بمغيِّر للسرعة ذي ثلاث سرعات متصل بجناحيها، مما يتيح لها تغيير السرعة وهي في الهواء.

وأثناء زيارته متحفًا، شاهد أحد العلماء صور ذبابة محفوظة في حجر الكهرمان، ولاحظ سلسلة من الشقوق في عيني الحشرة، ففكر أن هذه الشقوق ربما تساعد عينَي الذبابة على التقاط كمية أكبر من الضوء، وخصوصًا عند الزوايا المائلة. فبدأ هو وغيره من العلماء، بإجراء تجارب، فثبت أن ظنهم في محلّه، وسرعان ما شُرع بالتخطيط لصنع النمط نفسه على زجاج الألواح الشمسية، لتزداد الطاقة التي تولّدها هذه الألواح، وقد يلغي هذا التخطيط الحاجة لأنظمة التتبُّع المكلفة المطلوبة حاليًا لإبقاء الألواح موجهة نحو الشمس. أما أعين "حشرة العث" (Moth) فضد الانعكاس والتوهج، حيث تستطيع هذه الحشرة تجميع أكبر كمية من الضوء دون انعكاس له، مما يحميها من مفترسيها. وتم محاكاة هذه الخاصية في تصنيع شاشات العرض المسطحة والمستوية، وعدسات الهواتف النقالة.

أعين حشرة العث (Moth) ضد الانعكاس والتوهج، حيث تستطيع هذه الحشرة تجميع أكبر كمية من الضوء دون انعكاس له، مما يحميها من مفترسيها. وتم محاكاة هذه الخاصية في تصنيع شاشات العرض المسطحة والمستوية، وعدسات الهواتف النقالة.

الإضاءة الحيوية الباردة

هل أتاك نبأ "الإضاءة الحيوية"؟ لن تصدق عينيك عندما ترى مخلوقات عجيبة تتنوع ما بين البكتريا، والفطريات، والطحالب، والعوالق، والسوطيات الدوارة، والرخويات، وشوكيات الجلد، والقشريات، والحشرات، والديدان الأرضية، وديدان النار، وأسماك القيعان، والمبتلع الأنقليس، والحنش.. وهي تتألق ذاتيًا، وتضيء ضوءًا حيويًا مرئيًا. ولهذه الكائنات علم الإضاءة والإنارة الإحيائية (Bioluminescence)؛ حيث تملك القدرة الذاتية على إنتاج ضوء مرئي بألوان، كالأحمر والأزرق والأرجواني والأصفر المخضر، وفقًا للشوارد المعدنية الموجودة في خلاياها الضوئية. فلكل لون مصابيحه المميزة، وفترات نبضاته أو ومضاته الضوئية المستمرة والمتقطعة، أو السريعة والبطيئة.. مما يجعلها بمثابة الهوية الشخصية، ولغة التواصل بين أفراد النوع الواحد، فضلاً عن استعمالها في عملية التزاوج، وصيد الفرائس، والترهيب والدفاع عن النفس. وقد أغرى سحر هذا الضوء البارد، المشتغلين بالهندسة الوراثية للسعي الحثيث لإنتاج نباتات، حيوانات مضيئة ذاتيًا تحاكي مثيلاتها الطبيعية.

إن التأمل في الكون وما فيه من مفردات، دائمًا ما يغمرنا بالدهشة والروعة والرهبة والتقدير. فمن الطبيعة اعتاد الإنسان سبر أغوار اكتشافاته واستلهام اختراعاته، لكن سيظل في جعبتها المزيد، وستبقى لغزًا حيًا يثير السؤال تلوَ الآخر وتدعونا إلى التأمل والتدبر. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

سعيد السلماني*

الفلسفة بين الوجود والعدم

تاريخ الفلسفة يزخر بكم هائل من أنماط التعبير الفلسفي، وقد تعددت هذه الأنماط بتعدد الحضارات الإنسانية، فنمط التعبير الأرسطي ليس هو الأفلاطوني، وهذا الأخير ليس نسخة طبق الأصل لأستاذه سقراط، وهكذا في كل الحضارات الإنسانية؛ بحيث لا يمكن الحديث عن النسخ المنهجي المتطابق نظرًا لخصوصية كل حضارة ومستجداتها.. وعليه فإن الحديث عن الفلسفة الإسلامية هو حديث عن خصوصية هذه الحضارة. ومما يعلمه الجميع أن هذه الأخيرة لها امتداد في التاريخ البشري، لكن خصوصيتها تتجلى في بعثة الرسول محمد ﷺ بدين جديد يحمل لواء العلم والتعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾(العلق:١-٤). وقد توسعت هذه الحضارة وعلا شأنها في عديد من المجالات بعد تحقّق فعل القراءة. وبما أن التعقل والبحث العلمي الدؤوب كان من سمات هذه الحضارة، فقد تُرجم في عزّها أعمال علمية عديدة؛ هندية وفارسية ويونانية.. وبالتالي فقد كان لزامًا أن يتأثر المسلمون بفلسفات مختلفة، أبرزها الفلسفة اليونانية؛ فقد ترجموا لأفلاطون وأرسطو وأفلوطين وغيرهم. ولم يكتفِ فلاسفة الحضارة الإسلامية بالترجمة فقط، بل شرحوا وعلّقوا وأضافوا وفق ما يناسب منهجهم في التفلسف.

إن مثل هذه الخلاصة السريعة تدفعنا إلى طرح سؤال منهجي قد يبدو بسيطًا لأول وهلة، لكنه عميق في جوهره يلخص الجدل الفكري الذي ما زال قائمًا حتى يومنا هذا، وهو هل هناك فلسفة إسلامية؟ أو بتعبير آخر، هل هناك نمط تعبير فلسفي جديد عند المسلمين؟ رغم أننا ندرك تمام الإدراك أن هذه الأسطر لا تُروي العطشان ولا توفي المطلوب حقه، غير أننا نعتبرها

أرضية للنقاش المستفيض حول الموضوع قد تنير الطريق لمن أراد الاستزادة والتعمق.

الفلسفة الاسلامية بين الوجود وعدمه

إن كل باحث في تاريخ الفلسفة عندما يصل إلى مرحلة التفلسف عند المسلمين، سيجد نفسه أمام مسألة غاية في التعقيد، متمثلة في إشكالية فعل التفلسف عند المسلمين. فقد زعم في هذا الصدد كثير من المستشرقين بأن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا تكرار لما قاله فلاسفة اليونان، والشيء الوحيد الذي فعله فلاسفة الإسلام، هو نقلهم التراث اليوناني إلى الثقافة العربية الإسلامية، بفعل الضرورة والحاجة التي فرضتها الظروف الثقافية والسياسية. ومن أبرز من نازع في وجود فلسفة إسلامية "إرنست رينان" (Ernest Renan) (١٨٢٣-١٨٩٢) عميد حركة الاستشراق في فرنسا وأوروبا كلها في القرن التاسع عشر، حيث يؤكد في كتابه "تاريخ اللغات السامية" على أن التفلسف لا يمكن أن يكون بتاتًا من نصيب الشعوب السامية (نسبة إلى الساميين)، فهذه الأخيرة "لا تصلح للنظر العقلي الفلسفي، ولا لإنجاب الفلاسفة". وقد ادعى أن الفلسفة العربية ليست سوى فلسفة يونانية نافيًا أصالتها، وأنكر على قاعدة الفهم الاستشراقي/العرقي أهلية المسلمين والعرب للتفلسف، وفي كتابه المذكور أعلاه جزم أنه "من العسف أن نطلق اسم فلسفة عربية على فلسفة لا تعدو أن تكون استدانة من اليونان، وما كان لها أي جذر في شبه الجزيرة العربية، فهذه الفلسفة مكتوبة بالعربية ليس إلا". وهناك مستشرق آخر من ألمانيا اسمه " تنمان" (Tennemann) (ت ١٨١٩) أثبت في كتابه "المختصر في تاريخ الفلسفة"، أن المسلمين لم يكونوا أصحاب إبداع فلسفي وخاصة في الجانب النظري منه.

ورغم هذا التشويش على وجود الفلسفة الإسلامية وما قدمه هذا الفريق من حجج يزعم أنها عائق أمام تفلسف المسلمين، إلا أنها لم تصمد أمام النقد العلمي الرصين، فقد ردّ "غوستاف دوغا" (G. Dugat) على المنكرين للفلسفة الإسلامية بالقول: "إنما هي أحكام تذهب في الإطلاق إلى حد الشطط.. وما مصدرها سوى سوء التحديد للفلسفة الإسلامية، يضاف إليه جهلنا بما للعرب من مصنفات فلسفية غير شروحهم

إن نمط التعبير الفلسفي عند فلاسفة الإسلام، يختلف جذريًّا عن نمط فلاسفة اليونان، وفيه من الغنى والسعة والاختلاف ما نجده عند أساطين الفكر في كل الحضارات الإنسانية، فابن رشد ليس هو الغزالي فيما يخص المنهج رغم التقاطعات التي يمكن ملاحظتها.

حراء

على مؤلفات أرسطو. وما أسوق إلا شاهدًا واحدًا، فهل يظن ظان أن عقلاً كعقل ابن سينا لم ينتج في الفلسفة شيئًا طريفًا ولم يكن سوى مقلد لليونان؟".

وسيرًا على هذا النهج يقف "فول مونك" (Full Monk) مدافعًا عن وجود الفلسفة الإسلامية، معتبرًا أنها مرت بأطوار متعددة مثلها مثل الفلسفة في العالم المسيحي، إذ يقول: "وعلى العموم يمكننا أن نقول إن الفلسفة لدى المسلمين لم تتقيد بمذهب المشّائين صرفًا، وإنما هي توشك أن تكون قد تقلبت في جميع الأطوار التي مرت بها الفلسفة في العالم المسيحي، فنحن نجد فيها مذهب أهل السنة الواقفين على النصوص، ومذهب الشك، ومذهب الفيض، بل ونجد فيها مذاهب شبيهة بمذهب "سبينوزا" (Spinoza)، ومذهب وحدة الوجود الحديث".

إن أحكامًا كثيرة تغيرت بفضل البحوث الجادة التي اعترفت للفلسفة الإسلامية بجدتها، وطابعها الخاص في البحث والتحليل وعلاج القضايا، ومن بين الفلاسفة الذين انتهجوا لأنفسهم طريقة خاصة في البحث الإمام "أبو حامد الغزالي"، فقد قال عنه "رينان": "إنه الوحيد بين الفلاسفة المسلمين الذي انتهج لنفسه طريقًا خاصًّا في التفكير الفلسفي". وتعزيزًا لهذا الطرح فقد ذكر الباحث المصري "مصطفى النشار" في كتابه "مدخل إلى الفلسفة": "والجدير بالاعتبار أن نعرف أن الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) كان من أعظم الشخصيات الإسلامية وأكثرها عمقًا وأصالة، رغم أنه قاد تلك الحملة المزعومة على الفلاسفة".

منهج الغزالي في البحث تجديد أم تقليد؟

في التراث الإسلامي إذا ذكر الغزالي فأنت أمام علَم من

hiragate.com

أعلام الحضارة الإسلامية بدون منازع، هذه حقيقة لا ينكرها إلا معاند، مع العلم أن كل باحث يجد ضالته في الغزالي لسبب بسيط، وهو أنه كان عالمًا موسوعيًّا رافعًا شارة البحث عن الحقيقة والنقاش العلمي الرصين، فقد ناقش المتكلمين والباطنية والفلاسفة والمتصوفة، وكتب في الأصول والفروع.. ومن ثم فمن أراد قراءة الغزالي، فعليه أن يقرأ حياته أولاً، لأنها تخبر بكثير عن الأسرار العلمية والمنهجية على الخصوص.

يظهر ذلك جليًّا عندما تطالع بعضًا من كتبه، مثل "مقاصد الفلاسفة"، أو "تهافت الفلاسفة"، أو "المنقذ من الضلال".. كان مبدعًا مجددًا، فقد وظف منهجًا دقيقًا في البحث والتحليل، وكان -رحمه الله- من منهجه أن لا ينتقد مذهبًا إلا بعد أن يستوعبه وزيادة. لهذا فقبل أن يكتب "تهافت الفلاسفة" الذي شن فيه الحملة المزعومة، كتب "مقاصد الفلاسفة"، فلم يكن من أولئك الذين يهاجمون الفلاسفة عن جهل، ودون أن يعرفوا ما هي الفلسفة وماذا قال هؤلاء الفلاسفة. ففي كتابه "مقاصد الفلاسفة" أكد على هذا النمط الفكري في البحث والتمحيص، إذ يقول: "فإن الوقوف على فساد المذاهب قبل الإحاطة بمداركها محال، بل هو رمي في العماية والضلال"، مدشنًا بذلك، السبق المنهجي المُتغنّى به حديثًا. فإذا كان "ديكارت" تصدّر منهجه الشكي دون الإشارة إلى الغزالي فإن مصداقية الباحث الحريص على الدقة ونسبة المعلومة إلى أهلها، تجدها واضحة عند الغزالي في كل كتبه، فهو لا يفتأ ينوّه بالمناطقة والمتكلمين والفلاسفة والمتصوفة، وكتاب "مقاصد الفلاسفة" أوضح دليل على هذا النهج. يقول في "المنقذ من الضلال": "ثم إني ابتدأت بعلم الكلام، فحصَّلته وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده غير وافٍ بمقصودي.. وابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة، وعلمت يقينًا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتى يساوي أعلمهم في أصل ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقًّا".

نختم بالقول إن منهج الاستيعاب والتمحيص والبحث الدقيق هذا، هو الذي بوّأ الغزالي عاليًا في سماء البحث العلمي. إنه بمنهجه -الذي يقوم على الشك كمدخل للحقيقة- استطاع أن يهدّم البناء الذي أنشأه فلاسفة الإسلام على أنقاض الفلسفة اليونانية، ويعدّ -بناء عليه- الفيلسوف الوحيد الذي لم يكتف مثل علماء الكلام باقتباس بعض مسائل الفلاسفة، بل قام بشرح وتمحيص جميع نظرياتهم، وحاول من ثم إظهار ضعف براهينها وفساد نتائجها، مستندًا في كل ذلك إلى نظرية خاصة في المعرفة تدل على دقة المشاهدة، وعمق النظر، وقوة التفكير. وعليه، فإن قوة منهج "الغزالي" تظهر بشكل واضح في قوة نقده للنظريات الفلسفية، وفي الشك الذي انتهجه طريقًا للوصول إلى الحقيقة، فقد بحث في نظرية المعرفة، ومعيار اليقين، وتوصل بعد الشك إلى بيان حقيقة العلم، بطريقة الحدس الباطني وبأسلوب يذكرنا بأساطين الفلسفة الحديثة.

من هذا المنطلق نقول إن نمط التعبير الفلسفي عند فلاسفة الإسلام، يختلف جذريًّا عن نمط فلاسفة اليونان، وفيه من الغنى والسعة والاختلاف ما نجده عند أساطين الفكر في كل الحضارات الإنسانية، فـ"ابن رشد" ليس هو "الغزالي" فيما يخص المنهج رغم التقاطعات التي يمكن ملاحظتها، فلو كان الأمر يتعلق بالتطابق المنهجي والفكري، لما شاهدنا هذا التنوع الحضاري البديع الذي يؤكد مسألة أساسية؛ وهي أن الإنسان ما إن يحقق فعل التعلم والعلم، حتى يصبح ذلك هو القوة الهائلة التي سخّرت من أجل تحقيق غاية أكبر منه يجد نفسه ضمنها، "إن قامت على أحدكم القيامة، وفي يده فسيلة فليغرسها" (رواه أحمد).. هذا دأب الإنسان؛ "خدمة الإنسانية". ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المراجع

(١) محاضرات في الفلسفة الاسلامية: نظرية المعرفة في ثوب جديد، محمد مجمد الحاج حسن الكمالي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط١ ١٩٩٣.

(٢) الغزالي أبو حامد المنقذ من الضلال، تحقيق وتقديم: د. جيل صليبا، ود. كامل عياد، دار الأندلس بيروت، ط٧.

(٣) مدخل إلى الفلسفة النظرية والتطبيقية، النشار مصطفى، دار قباء الحديثة، القاهرة ٢٠١٠.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

الجلوكوما
مرض يقود إلى العمى

تعتبر العين من الأعضاء التي يتأثر بها الإنسان إذا ما أصيبت بما قد يعيقها عن القيام بدورها المطلوب، وقد يتجاوز ذلك التأثير العضوي إلى النفسي. ومن الأمراض الخطيرة التي تصيب العين ما يسمى بـ"الجلوكوما" أو الماء الأزرق؛ إذ إنه يعدّ من أهم الأمراض التي تؤدي إلى الإصابة بالعمى. فالجلوكوما عبارة عن مجموعة من الأعراض تؤدي كلها لارتفاع في ضغط العين لدرجة لا يتحملها العصب البصري، مما يسبب تآكلاً تدريجيًّا، وضمورًا بالعصب البصري، وفقدًا مطردًا في الألياف المكونة له، مع ظهور عتامات في الساحة البصرية، تتلاحم فيما بينها وتؤدي إلى العمى الكامل.

ولقد أصاب أجدادنا عندما أطلقوا على هذا الداء اسم "السويرق"، أي يسرق البصر دون الإحساس به، ويسمى في بعض الدول بـ"اللص الصامت". وقد أتت تسميته بـ"الماء الأزرق" لكون كلمة "جلوكوما" عند الإغريق تعني الشلالات الزرقاء؛ لأن المريض يرى في أحيان كثيرة هالات زرقاء حول مصدر الضوء، مما يعطي

الماء الأزرق هي عبارة عن زيادة الضغط في العين عن المعدل الطبيعي، وبالتالي تتأثر جميع أنسجة العين الداخلية بهذا الارتفاع، كما يحصل تلف في أنسجة العصب البصري، وهذا التلف يسبب فقدانًا دائمًا للبصر.

انطباعًا عند المريض أن هناك مياه زرقاء داخل العين، وهذا بالطبع خطأ شائع لكن تعارف الناس على هذا المسمى.

أكثر من ٧٠ مليون شخص من مختلف دول العالم، فقدوا البصر في كلتا العينين، نتيجة إصابتهم بمرض الجلوكوما (الماء الأزرق)، إذ لا يلحظ المصاب في بداية إصابته بالمرض، حدوث أية أعراض حتى يفقد الرؤية بشكل كامل، ومن ثم نرى أن البعض أطلق على مرض الجلوكوما "لص البصر المتخفي". ويقدر العلماء بحلول العام ٢٠٢٠، إصابة أكثر من ٨٠ مليون شخص حول العالم بالمياه الزرقاء. وبحسب منظمة الصحة العالمية، يعتبر مرض الجلوكوما السبب الرئيسي الثاني للعمى على مستوى العالم بعد "الماء الأبيض" (Cataract). ووفقًا لإحصائيات منظمة الصحة العالمية، يعاني حوالي ٢٪ من البالغين -فوق سن ٤٠ سنة- من مرض Glaucoma على مستوى العالم، وانتشار المرض يأخذ بالازدياد مع تقدم السن، ليبلغ ١٠٪ من الناس فوق سن ٦٥ سنة.

لص البصر المتخفي

كما نعلم فإن العين على شكل كرة، وهذا الشكل هو الوضع النموذجي الصالح لعملية الرؤية. ومن أجل أن تكون العين كرة، تحتاج إلى أن يكون الضغط في داخلها أكثر من الضغط الجوي المحيط بها، وبعكس ذلك تنكمش العين، ويسمى الفرق بين الضغط داخل العين والضغط الجوي، ضغط العين. وبصورة عامة فإنه يوجد توازن بين مقدار ما يُنتج من هذا السائل، وما يُهرَّب منه من خلال الفتحات الصغيرة الموجودة في الزاوية الكائنة بين الوجه الداخلي للقرنية والقزحية.

ومن الممكن تشبيهه بخزّان ماء مغلق تصب فيه حنفية بصورة دائمة، وينضح الماء منه من خلال فتحات صغيرة، فإذا كانت كمية الماء الواردة من الحنفية بنفس مقدار النضوح، يكون ارتفاع الماء داخل الخزّان ثابتًا "متساويًا" طيلة الوقت. وإذا زادت كمية الماء الواردة أكثر من المعتاد وقلت نسبة النضوح، فإن ارتفاع الماء داخل الخزان سيرتفع والعكس بالعكس؛ أي إذا قلت كمية الماء الواردة وزادت كمية النضوح، فإن مستوى الماء سينخفض.

كذلك فإن مقدار الضغط داخل العين وإن كان مشابهًا لما ورد أعلاه، إلا أن هناك إمكانية للتكيف والمحافظة على مستوى الضغط داخل العين، وهذا التكيف يتناسب مع كمية السائل المنتجة، فإذا قل الضغط داخل العين، فقد تحدث مضاعفات قد تؤثر على النظر. وكذلك إذا زاد الضغط داخل العين، فقد يؤدي ذلك في النهاية إلى فقد النظر. وقد يتبادر إلى الذهن سؤال في هذا الصدد، وهو ما الذي يحفظ للعين ضغطها الطبيعي؟ ومن إعجازه سبحانه في خلق العين، أن نحافظ على ضغطها في المستوى الطبيعي، والسبب في ذلك هو ذلك التوازن المذهل والمعجز للخالق جل جلاله بين عدة عوامل:

١- معدل إفراز وتكوين السائل المائي: هذا السائل تفرزه غدد الجسم الهدبي بمعدل ٢ مليمتر ميكرون في الدقيقة الواحدة، وعند زيادة هذا الإفراز عن اللزوم، قد يزيد -في وقت قصير- ضغط العين إذا لم يصاحب هذه الزيادة في الإفراز سرعة مناسبة في تسريب أو تصريف السائل المائي.

٢- معدل تصريف السائل المائي خارج العين: وهذا يحدث أساسًا خلال زاوية الخزانة المقدمة في العين،

hiragate.com

حيث يوجد نسيج غربالي يؤدي إلي قناة تحيط بسواد العين ومنها إلى أوعية دموية خارج العين. وهذا التصريف يعتمد على سعة الثقوب الموجودة في النسيج الغربالي، كما يعتمد على الفرق في الضغط داخل العين والضغط الموجود في الأوردة على سطح بياض "صلبة" العين. وهذا الفرق بين الضغطين يساعد على خروج السائل من العين بمعدل يناسب معدل تكوين السائل المائي.

وثمة تنظيم أو تحكم عصبي من قِبل الخالق سبحانه في الوصول إلى هذا التوازن في الأحوال الطبيعية؛ فإذا زاد الإفراز زاد التصريف، وإذا قل الإفراز قل التصريف. أيْ إن هناك "صمام أمان" رباني للعين ضغطها في المستوى الطبيعي، تمامًا مثل صمام الأمان الموجود في حلة البريستو أو حلة البخار؛ فهذا الصمام يسمح للبخار بالخروج إذا زاد الضغط داخل الحلة، وتكون النتيجة ثبات ضغط العين داخل الحدود أو المتوسط الطبيعي ما بين ١٢-٢٢ مليمتر زئبق فوق الضغط الجوي.

القاعدة في طب العيون بالنسبة للجلوكوما، هي أن كل متهم بالجلوكوما عنده جلوكوما إلى أن تثبت براءته، وتفسير ذلك كما أورده المرحوم الأستاذ الدكتور صلاح الدين مصطفى في كتابه "أسرار العيون"، أنه إذا قال طبيب لمريض عندك جلوكوما، فعلى الآطباء الآخرين أن يحترموا هذا التشخيص، وأن لا يبرئوا المريض من تهمة هذا المرض إلا بعد فحص ومتابعة طويلة. والسبب في ذلك أن ضغط العين -كما ذكرنا سابقًا- يتغير ارتفاعًا وهبوطًا على مدى ٢٤ ساعة، حتى في العين الطبيعية، لذا فضغط العين لا بد أن يقاس بواسطة نفس الطبيب مستعملاً نفس الجهاز، ولكن في أوقات مختلفة من اليوم، قبل أن يؤكد أو ينفي تشخيص زيادة في ضغط العين. وهذه نقطة هامة جدًّا، لأن من يثبت عليه مرض الجلوكوما، فعليه أن يستعمل العلاج وأن يستمر في متابعة الحالة عند طبيب العيون كل ثلاثة شهور طوال عمره، تجنبًا لفقدان النظر من عينيه دون أن يدري.

خطورة مرض الجلوكوما

تكمن خطورة الجلوكوما في أنه يسبب فقدانًا دائمًا للبصر إذا لم يتم اكتشافه ومعالجته مبكرًا؛ فعندما يزيد الضغط في العين عن معدله الطبيعي (١٥-٢٠ مم زئبقي) تتأثر جميع أنسجة العين الداخلية بهذا الارتفاع في الضغط، فتتأثر عروق العصب الدموية وبعض طبقات الشبكية، كما يحصل تدريجيًّا تلف في أنسجة العصب البصري، وللأسف فإن هذا التلف غير قابل للعلاج حتى ولو أمكن التحكم في معدل الضغط بعد ذلك، فهو مثل كابل الكهرباء الذي يحتوي على كمية هائلة من الأسلاك الرفيعة، كذلك يحتوي العصب البصري على عدد كبير جدًّا من الألياف العصبية التي تقوم بدورها المهم وهو نقل الصور التي نشاهدها إلى الجزء المخصص بالإبصار في المخ، وهي التي تتلف بتأثير الجلوكوما مما يؤدي لتكوين بقع عمياء داخل العين، أيْ فقد أجزاء من المجال البصري للرؤية. وإذا لم يعالج المرض، يحدث تلفًا كليًّا في العصب البصري، وبذلك تفقد العين قدرتها على الإبصار.

وهنا تأتي أهمية التشخيص المبكر والاهتمام بالعلاج باستمرار؛ حتى لا يرتفع الضغط عن معدله الطبيعي ويبقي العصب البصري في حالة جيدة.

الجلوكوما الخلقية

قد يولد الطفل مصابًا بهذا المرض، أو يصاب به في السنوات الأولى من عمره، ويمكن توارثه عن أحد الأبوين أو كليهما، كما قد يحدث نتيجة إصابة الطفل بعدوى فيروسية عند إصابة الأم بهذا الفيروس في

يعدّ العلاج بالجراحة الخيار الأول في علاج زرق الزاوية المغلقة المزمن والزرق الخلقي، وكذلك في حالات زرق الزاوية المفتوحة عند عدم استجابتها للعلاج الدوائي.

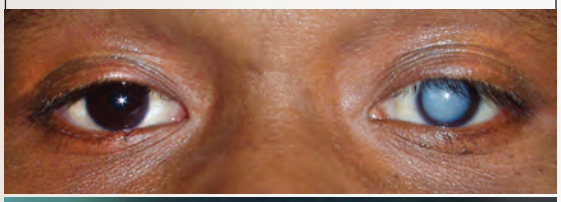

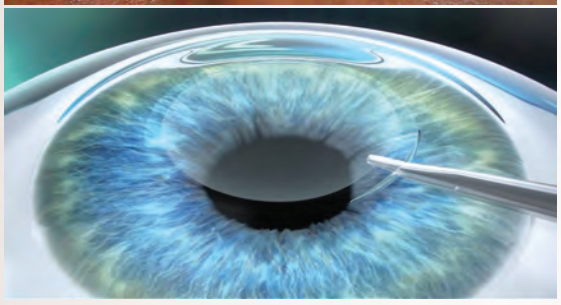

hiragate.com

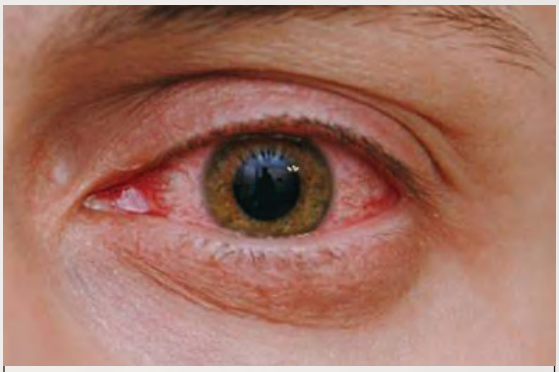

من أهم الأمور للوقاية من مرض الجلوكوما أو الماء الأزرق، إجراء فحص دوري لكل من تجاوز الأربعين سنة، كل خمس سنوات. ويمكن السيطرة على الماء الأزرق باستعمال قطرات العين عدة مرات في اليوم مع بعض الأقراص.

الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل. يلاحظ الأبوان كبر حجم سواد العين عند الطفل نتيجة لكبر حجم القرنية وهي الطبقة الشفافة التي تغطي سواد العين، كما قد تفقد القرنية شفافيتها ولمعانها فيتغير السواد إلى اللون الأزرق أو الأبيض. ومن المهم جدًّا علاج الجلوكوما الخلقية في أسرع وقت ممكن حتى يستطيع الطفل التركيز بعينيه ويمكن بذلك تجنب كسل العين.

الجلوكوما الثانوية

هناك أسباب كثيرة من الممكن أن تؤدي إلى ارتفاع ضغط العين، منها التهابات القزحية المتكررة، ونضوج الساد، والمراحل المتقدمة لمرض اعتلال الشبكية السكري، والاستعمال الطويل لمركبات الكورتيزون، وانسداد الأوعية الدموية بالشبكية، وأورام العين الداخلية.

الوقاية خير من العلاج

من أهم الأمور للوقاية من مرض الجلوكوما أو الماء الأزرق، إجراء فحص دوري لكل من تجاوز الأربعين كل خمس سنوات، أما المعرّضون للإصابة أكثر من غيرهم بسبب العرق أو التاريخ العائلي، أو الوراثة، أو الأشخاص المصابين ببعد النظر، فيجب أن يتم فحصهم في فترات زمنية متقاربة يقررها طبيب العيون.

علاج الماء الأزرق

إن التلف في خلايا الشبكية العصبية والعصب البصري الناتج عن مرض الزرق، هو تلف نهائي لا يمكن علاجه، لذلك كل العلاجات المتوفرة في الوقت الحاضر، تهدف إلى المحافظة على ما تبقى من النظر، حيث تتم متابعة العلاج بفحص ضغط وقاع العين، وتخطيط الساحة البصرية بشكل دوري من قبل اختصاصي العيون، وهناك أنواع من المعالجات:

أ- المعالجة الدوائية: يمكن السيطرة على الماء الأزرق باستعمال قطرات العين عدة مرات في اليوم مع بعض الأقراص يوميًّا، المساعدة على خفض ضغط العين، وهي الاختيار الأول في معالجة حالات زرق الزاوية المفتوحة المزمنة.

ب- العلاج بالليزر: يستعمل العلاج بالليزر في مختلف أنواع الزرق، وهو خط العلاج الأول في زرق الزاوية المغلقة الحادة، حيث يعمل الليزر على إنشاء فتحة في القزحية لتحسين انسياب السائل المائي إلى زاوية التصريف.

جـ- العلاج بالجراحة: ويعتبر الخيار الأول في علاج زرق الزاوية المغلقة المزمن والزرق الخلقي، وكذلك في حالات زرق الزاوية المفتوحة عند عدم استجابتها للعلاج الدوائي.

الفرق بين المياه الزرقاء والمياه البيضاء

المياه البيضاء هي عبارة عن عتامة بعدسة العين يشعر المريض بوجودها مبكرًا، فيرى الأشياء كأن عليها أتربة أو دخانًا، ويقل النظر تدريجيًّا وتزيد الغباشة. يميز المصاب بالمياه البيضاء الحركة ولكن لا يميز التفاصيل، لا تؤثر هذه العتمة على أي أنسجة أخرى داخل العين، وتعالج المياه البيضاء بوضع عدسة شفافة صناعية بدل الطبيعية المعتمة، ويعود نظر المصاب ٦/٦.

أما المياه الزرقاء فهي عبارة عن زيادة الضغط في العين عن المعدل الطبيعي، وبالتالي تتأثر جميع أنسجة العين الداخلية بهذا الارتفاع، كما يحصل تلف في أنسجة العصب البصري، وهذا التلف يسبب فقدانًا دائمًا للبصر إذا لم يتم اكتشافه ومعالجته مبكرًا، وبالتالي لا يمكن إعادة البصر بأي وسيلة علاج، مما يعني أن الإصابة بالمياه الزرقاء أكثر خطورة من الإصابة بالمياه البيضاء. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

hiragate.com

د. مراد زهوي*

التدبر مفتاح التلقي

ما طبيعة علاقتنا بالقرآن العظيم؟ هل هي علاقة تدبرية على الأصل أم تعامل مصحفي؟ الملاحظ في الواقع أن الناس يقبلون على كتاب الله تلاوة وحفظًا واستذكارًا ومراجعة، وهذا لا شك خير عظيم، ولكن يبقى هذا الإقبال، بالألسنة دون القلوب، أي دون التدبر. والتدبر عبادة عقلية وقلبية؛ فإعمال العقل والفكر والقلب والخاطر في آيات كتاب الله تعالى هو المقصود من التلاوة، يقول المولى ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا

لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(البقرة:٩٧)؛ لم يقل سبحانه "إنه نزله على سمعك" ولا "على بصرك"، ولكن "على قلبك".

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي المالكي: "وخص القلب بالذكر لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف". ولكن هل تتجاوز الآيات أسماعنا وأبصارنا وألسنتنا إلى قلوبنا؟ إنه الأمل المرتجى، وبه نجتني ثمرات وبركات وخيرات القرآن الكريم الذي جعله الله نورًا للقلوب وهداية للبشرية، وكم أحسن القائل:

نور على مر الزمان تألقا
وأضاء للدنيا طريقًا مشرقا
وهدى من الرحمن يهدينا به
للصالحات وللمكارم والتقى
هذا كتاب الله زادُ قلوبنا
وشفاؤنا من كل داء أرهقا
يا حافظ القرآن لست بحافظ
حتى تكون لما حفظت مطبقا

إن الغاية -إذن- من تلاوة القرآن وسماعه هي التدبر ومنه العمل، قال وهب بن منبه رحمه الله: "ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم، وما فهم إلا علم، وما علم إلا عمل"؛ فالعمل يقتضي التفكر والتدبر، لأنهما وسيلة الفهم والفقه، ولا يتصور العمل حقيقة إلا إذا حصل الفهم.

والتدبر يختلف عن التفسير، فهذا لا يستطيعه إلا من أهّله الله تعالى لذلك، وهم العلماء ورثة الأنبياء. فالتفسير يتطلب العلم باللسان العربي الذي نزل به القرآن، والعلم بعلوم القرآن من تاريخ ومكي ومدني ومحكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ.. وكذلك العلم بقواعد التفسير وأصوله. أما التدبر فمتاح لكل مسلم يفتح كتاب الله وينظر فيه، فحكمه مختلف عن حكم التفسير، لأن الله تعالى ذم الإعراض عن التدبر في القرآن والتفكر فيه وفي معانيه، حيث قال ﷻ: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾(النساء:٨٢)؛ فهذا استفهام إنكاري، ومعناه لو كانوا يتدبرون القرآن، لَما وقعوا فيما هم واقعون فيه من الضلال، يقول الإمام القرطبي رحمه الله: "ودلت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(محمد:٢٤)، على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه، فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي ﷺ، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس".

إذن التدبر للكبير والصغير، للذكر والأنثى، للعالم والعامي، فكل من يفهم لغة الخطاب ثم يقرأ آيات وعد أو وعيد، يفهم إلى ما ترمي إجمالاً وإن لم يدرك معاني بعض الألفاظ أو تفاصيل ما تضمنته من الأحكام؛ فينزجر للزواجر عند سماع آيات الوعيد، وينبعث لفعل الخيرات والفضائل عند سماع آيات الوعد، فله من التدبر حظ وقدر يحمد عليه بحسبه. والذين يخلطون التدبر بالتفسير يقصرون التدبر على العلماء وطلاب العلم فقط، وهذا خطأ.

إن تدبر القرآن فريضة، وضرورة شرعية وحضارية ووجودية؛ لأنه منهج السير إلى الله ﷻ، وهو السبيل إلى الإصلاح، والسبيل لربط واقع الأمة بالكتاب والسنة، قال ﷺ: "أيا أيها الناس إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدًا: كتاب الله، وسنة نبيه" (رواه البيهقي)، وقال مالك رحمه الله: "ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وهل صلح أولها إلا بالكتاب والسنة؟". إذن، تدبر معاني القرآن الكريم والسنة النبوية هو السبيل لذلكم الإصلاح المنشود. كما أنه لا تمسّك بالكتاب والسنة بلا فهم وتدبر، فهما سبيل الفقه في الدين، وقد دعا النبي ﷺ ربه لابن عباس ﷺ أن يعلمه التأويل، وأن يرزقه الفقه في الدين، فكان ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يقول: قال رسول الله ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقّهه في الدين". وتدبر القرآن من أعظم سبل الفقه في الدين، ويقول ﷻ: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:٢٨)؛ فلا تطمئن القلوب حتى تتعرف على معاني القرآن وأحكامه، فإنها تدل على الحق المبين، المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب.

hiragate.com

نعم، لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها، يقول سبحانه: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(هود:١٢٠)، ويقول عز من قائل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾(الإسراء:٨٢)؛ فلن تتحقق الطمأنينة والتثبيت والرحمة والشفاء، إلا بالاستماع والإنصات المساعدَين على التدبر: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف:٢٠٤)؛ فهذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع. ولا شك أن من لازم هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله ﷻ، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهدى متزايدًا وبصيرة في دينه.. ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تلي عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت، محروم الحظ من الرحمة، وقد فاته خير كثير.

النبي ﷺ إمام المتدبرين

كان رسول الله ﷺ من أعظم الناس تدبرًا وخشوعًا وتأثرًا بالقرآن الكريم، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "شيّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت" (رواه الترمذي). وعلى هديه كان الصحابة ﷺ يتأثرون بقراءة القرآن كما وصفهم الله ﷻ في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(الأنفال:٢)، وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: "كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله، تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم". وقالت عائشة ﷺ: "كان أبو بكر ﷺ رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرئ القرآن" (رواه البخاري)، وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: "يا أبا موسى ذكرنا ربنا، فيقرأ القرآن وهم يسمعون ويبكون". وقال الحسن البصري رحمه الله: "نزل القرآن

تدبر القرآن فريضة وضرورة شرعية وحضارية ووجودية، لأنه منهج السير إلى الله، وهو السبيل إلى الإصلاح المنشود، وربط واقع الأمة بالكتاب والسنة.

لِيُتَدَبَّر ويُعمَل به، فاتخذوا تلاوته عملاً.. وتدبُّر آياته: اتباعه والعمل بعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآن في خلُق ولا عمل".

قواعد تعين على التدبر

أ- الخشوع وحضور القلب، ذلك أن العقل في القلب على الصحيح من أقوال أهل العلم.

ب- الترتيل والتغني بالقراءة، لقول الله ﷻ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾(المزمل:٤).

ج- صلاة الليل، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(الإسراء:٧٩).

د- الإنصات عند سماع القران، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأعراف:٢٠٤).

هـ- حسن الابتداء والوقف، ومعايشة معاني الآيات وتصور حال الدعوة عند نزول الآيات، وذلك أن حمل همّ الدين والقيام بالدعوة إلى الله، أعظم سبيل للتأثر بالقرآن والانتفاع به، يقول عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عمر ﷺ وأنا في آخر الصفوف وهو يقرأ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(يوسف:٨٦).

و- فهم المعاني ومقاصد الآيات، ومما يساعد على ذلك، الرجوع إلى تفاسير القرآن الكريم، قال السيوطي رحمه الله: "أجمع العلماء أن التفسير أجلّ العلوم". ويقول مجاهد: "عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها". وقرأ ابن الزبير

hiragate.com

رضي الله عنهما آية وقف عندها وأسهرته حتى أصبح، فدعا ابن عباس ﷺ فقال: إني قرأت آية وقفت الليلة عندها فأسهرتني حتى أصبحت ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾(يوسف:١٠٦)، فقال ابن عباس: لا تسهرك، إنما عُني بها المشركون، ثم قرأ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾(لقمان:٢٥)، فهم يؤمنون هنا ويشركون بالله (شرك العبادة).

ز- الوقوف عند الآيات، وذلك بحسن الترتيل والوقوف عند المعاني، أخرج مسلم في صحيحه من حديث حفصة أم المؤمنين ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتّلها حتى تكون أطولَ مِن أطولَ منها". وقال ابن أبي مليكة: "سافرت مع ابن عباس رضي الله عنهما، فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم يبكي حتى نسمع له نشيجًا". وكانت قراءة الفضيل بن عياض -رحمه الله- حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة يرددها ويسأل. واستفتح سعيد بن جبير -رحمه الله- صلاة الليل بـ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(الانفطار:١) فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر. وقال النووي رحمه الله: "وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها، يتدبرها عند القراءة".

المدارسة الجماعية للقرآن

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة". وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"، وقال علي ﷺ: "لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها".

وقد تعرض للعبد بعض الصوارف والشواغل تحول بينه وبين التدبر الأمثل للقرآن، وهي تختلف باختلاف الأشخاص، أهمها أمراض القلوب كالحقد والحسد والبغضاء والشحناء، وانشغال القلب وشرود الذهن، والفهم القاصر لمعاني الآيات، وعدم الترتيل والعجلة في القراءة.

قال عثمان بن عفان ﷺ: "لو أن قلوبنا طهرت، ما شبعت من كلام ربنا" وقال الزركشي: "لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى، أو حب الدنيا أو هو مصرّ على ذنب أو غير متحقق بالإيمان"، وقال الحسن البصري: "يا ابن آدم كيف يرق قلبُك وإنما همَّتُك في آخر السورة". وثبت عنه ﷺ أنه قال: "لا يفقه من قرأه -القرآن- في أقل من ثلاث" (رواه أبو داود)، وليس المقصود مجرد التلاوة، بل التدبر المؤدي إلى الفهم ومن ثم إلى العمل.

التدبر درجات

الأولى: التفكر والنظر والاعتبار، يقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢١٩).

الثانية: التأثر وخشوع القلب، يقول تعالى:﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۞ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ۞ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾(الإسراء:١٠٧-١٠٩).

الثالثة: الاستجابة والخضوع لله تعالى، وهذا من أعظم مقاصد التدبر، يقول تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(الأنعام:١٥٥).

الرابعة: استخراج الحكم واستنباط الأحكام. ■

(*) كاتب وأكاديمي من الغرب.

المراجع

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي المالكي.

(٣) مدخل إلى الفلسفة النظرية والتطبيقية، النشار مصطفى، دار قباء الحديثة، القاهرة ٢٠١٠.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض.

(٥) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، لابن تيمية.

(٦) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية.

(٧) أخلاق حملة القرآن للآجري، لـ"أحمد شحاته السكندري".

hiragate.com

محمد المجتبى الثاني*

حجل الكلمات

حَيْرى أمـامَ جمالِك الكلماتُ ... خجلى، وتفصح هاهنا العَبراتُ
لغةُ القلوب على الشفاه عصيّةٌ ... فاصمتْ لتخفق بالهوى النبضاتُ
"الصّمْتُ في حَرَمِ الجَمالِ" فصاحةٌ ... والفكرُ في هذي الخصال صلاةُ
عُمْري أظنُّ الحبّ يأخذُ وحده ... قلبي، ويفعلُ ما يشاءُ رُفاتُ
لكنّ حُبَّك سيّدي، ذَبُلتْ له ... هذي الجُلودُ، وخارتِ العضلاتُ
واغرَوْرَقت عيني، وسالَ مدامعي ... ودمي، وحرتُ أكان ثَمَّ فراتُ
وجررتُ عجزي خائبًا، وذيولَ خز ... يي خاثرًا، تغتالني الآهاتُ
رُحماكَ يا وجعَ الخيالِ، أما كفى ... قلبي؟ وقد خضعتْ لكَ الرّقَباتُ
القلبُ مِلْكُكَ سيّدي وازدد بكل (م) خلية ودماؤنا قُربـاتُ
خُذ من ضلوعي ما تشاءُ، ومن دمي ... ما تشتهي، فجمالكم عرفاتُ
ماذا سأعطي بعد؟ أنت وهبتني ... كلي وأنت الرحمة المهداة
يا ليت نظرة لطفكم تحنو فتقـ ... ـضي بالقصاص ففي القصاص حياة
وصلاة ربي والسلام على جما ... لك فوق ما تتخيل الخلجات
والآل والأصحاب حق القدر ما ... قصر القصيد وضاقت الكلمات

(*) شاعر من نيجيريا.

فتح الله كولن

الأسلوب في النقد

ثمة عامل مهم يجب مراعاته في النقد حتى يتقبله الآخرون، ألا وهو الأسلوب المستخدم فيه؛ فطريقة الحديث مهمة للغاية بقدر أهمية صحة الكلام المطروح ومعقوليته، ولكيلا يُزعج النقدُ الطرفَ الموجه إليه، يجب أن يكون الأسلوب صحيحًا ونمط العرض إنسانيًّا أيضًا، فإذا حدث هذا وُضعت في الحسبان اقتراحاتكم وأفكاركم التي تهدف إلى حل المشكلة أو تصحيح الخطأ، بل وتسنى لها أن تكون وسيلة لحدوث حالة من الانفراج.

وعليه فمن الأهمية بمكان مراعاةُ الحالة العامة للمخاطب قبل توجيه النقد إليه، واستخدامُ الأسلوب الذي يناسبه، فإن كان المخاطب لن يستطيع استيعاب ما نقوله، فلا فائدة من التحدث إذن؛ لأن الكلمات التي تقال لمثل هذا الشخص سوف تستفزه، وستُحرك فيه مشاعر عدم احترام الحق.

فأحيانًا ما يكون الأسلوب الذي نستخدمه، حائلاً بيننا وبين المخاطب أكثر من الموضوع ذاته الذي ننتقده فيه، مما يؤدي إلى أن يرفض ولا يستسيغ النقد أبدًا، فإذا وجّهنا إليه النقد على شكل مطرقة ثقيلة وكأننا نضرب بها على رأسه، أصابته الكلمات التي نقولها بصدمة روحية.. وحتى إن اعتقد مثلُ هذا الشخص أن كلامنا صحيحٌ، فقد لا يرغب في قبوله لأنه منزعج من الطريقة التي نتحدث بها. بل إنه قد يختلق أنواعًا مختلفة من الفلسفات ليُثبت أنه على صوابٍ أو ليُلبس الباطل بلباس الحق، وبالتالي نكون قد جعلناه نائبًا ومتحدثًا بلسان الملاحظات والآراء الشيطانية.

وإلى جانب أهمية مسألة النقد وأسلوبه، فهناك أهمية أخرى خاصة بشخص الناقد؛ لدرجة أن الشخص الذي يعترض بشدة على ما نقوله له ربما يتقبّله ذاته ويفرح به عندما يسمعه من شخص آخر، وهذا يرتبط إلى -حد ما- بالعلاقة بين

الناقد والمنتقَد؛ فالمرء قد يرى نقد من يحبهم نوعًا من التقدير والثناء. وعليه يجب ألا نصرّ على أن نذكر بأنفسنا بعض السلوكيات التي نراها خاطئة، وألا نعاند في هذا الأمر، بل يجب أن نُحيل الأمر إلى مَن نراه أكثر فعالية وتأثيرًا منا، فإن كان المهم هو أن تتقبل بعضُ الصدور الحقيقةَ، وتنتصر للحقّ، فما أهمية من يعبر عنه؟!

هناك نقطة أخرى يجب مراعاتها من حيث المنهج، وهي إذا كان المخاطب سينزعج إذا صارحناه مباشرة بأخطائه، فيمكننا أن نبحث عن بيئة يتسنى له أن يتعلم منها الدرس، ونتحدث إلى الجمهور؛ فلقد حدث عدة مرات أن استخدم رسول الله ﷺ الطريقة نفسها للحديث عن أخطاء رآها، فقد جمع ﷺ أصحابه بالمسجد بسبب خطأ رآه من أحد الناس، فتحدث على العموم لا على الخصوص، وبالتالي تمكن الشخص الذي أخطأ من إدراك خطئه وتصحيحه دون أن تتأذى نفسه ولا يُساء إليه.

وفي عالم اليوم المشحون بالأنانية، صار من الأهمية بمكان الانتباه إلى مثل هذه التفاصيل الدقيقة في باب النقد، فترى الأنانيّين -مثل الجبال الجليدية التي في القطبين- عاجزين تمامًا عن تحمل النقد والانتقاد، وإذا أردنا في مثل هذه المرحلة ألا يُزدرى الحق والحقيقة، فعلينا إيجاد الإجراء والأسلوب الذي نعتقد أنه صحيح وفعّال في هذا الصدد.

سر التوفيق

إن أعظم وسيلة لجلب العون الإلهي والتوفيق الرباني، تأسيس التوافق وتحقيق التوحد بين أفراد المجتمع. فغنيمة التوفيق لها غُرمُها، وغُرمُها هو ترسيخ الوعي الجماعي، والحفاظ على سر التوافق وروح الاتفاق، والابتعاد عن كل نزاع وشقاق. فإذا أصبحنا كيانًا متوحدًا وكلاً متوافقًا، فسوف تتنزل علينا من الألطاف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وسوف نمتلك القدرة على رفع أحمالٍ أثقلَ من جبل قاف. أما إذا زال التوافقُ وتبخّر الاتفاقُ، ولم يبق سوى بضعة رجال ضعافٍ من حولنا، فلن يأتي المدد الإلهي حتى لو بذلنا قصارى جهودنا. فإننا إن قطعنا حبل الاتفاق فيما بيننا انتَسفتْ مناجمُ قوتنا ومنابعُ طاقتنا، وكنا سببًا في انقطاع غُيوث الرحمة علينا والعون لنا. لذا، يجب أن نركز جهودنا كلها لكي نبقى متماسكين تماسك الفولاذ ومشدودين إلى بعضنا كالبنيان المرصوص. وها هو القرآن يعلن عن مرسومه الخالد بقوله: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(الفتح:١٠)، ومن هنا فإن اللطف والسند الذي ينزل على الأفراد، لن يداني حجمَ اللطف والسند الذي ينزل على الجماعة المتوحدة أبدًا، حتى وإن كان هؤلاء الأفراد عمالقة في العلم والعرفان، جبالاً في الزهد والتقوى، وحيدي أزمانهم في مواهبهم الذاتية وإقبال الناس عليهم وتقربهم من الله جل وعلا. ■

(*) الترجمة عن التركية: هيئة تحرير المجلة. هذه النصوص مترجمة من دروس الأستاذ الخاصة.

صفاء الدين محمد*

حديث النفس جنون أم عبقرية؟

حديث النفس ليس ظاهرة مرضية تجعل صاحبها مثارًا للسخرية أو متهمًا بالجنون، بل هو مجال فسيح يعبر فيه كل واحد منا عن مشاعره وانفعالاته، ويبث آماله وآلامه. إن النفس أنيس لا يمل من الإنصات، ولا يفارق صاحبه في الحل والترحال. وقد يجري حديث النفس في الغالب على الصور الآتية:

١- لفظي، أيْ يكون الحديث منطوقًا.. فإذا رأيتَ شخصًا ما يتحدث مع نفسه بصوت مسموع، فلا تحكم عليه بالجنون؛

لأن هذا أمر طبيعي جدًّا، وهو صورة من صور حديث الإنسان مع ذاته، كما أنه عبارة عن أفكار منطوقة.

٢- غير لفظي، أي غير منطوق.. يجول بداخلك على صورة أفكار صامتة غير منطوقة.

٣- وقد يأخذ شكل المشاعر أو الانطباعات، بل وأحيانًا استجابات جسدية لا تصاحبها أية كلمات، واترك لخيالك المجال لتخيل ذلك.

أما من حيث الوعي به، فيكون بصورة واعية وإرادية وهو الأقل. ويكون بصورة غير واعية وهو الغالب، وهذا النوع غير ملاحظ، ويجري في الذهن بصورة تلقائية عميقة.

أما من حيث النوعية والمضمون، فإنه -وللأسف- الغالب الأعم من حديث الذات، هو من النوع السلبي (٨٠٪) الذي يعمل ضدك. من ثم لو تأملنا وأخذنا ندوِّن ما يتلفظ به الناس من كلمات وعبارات، فسنجد عجبًا؛ ستجد من يقول أنا ذاكرتي ضعيفة، أنا غير محظوظ، أنا دائمًا متوتر، أنا طبعي الغضب، أنا لا أستطيع، كل الظروف ضدي، ليس لي في الدنيا صديق، هذا مستحيل، أنا أكره وظيفتي.. وعدد ما شئت من عبارات سلبية تعمل كل يوم على برمجة أذهاننا، وتشكيل حياتنا.. هذه عينة من العبارات المنطوقة التي نتحفظ عادة في صياغتها، مراعاة للجانب الاجتماعي، فما بالك بالأفكار السلبية السوداوية غير المنطوقة التي تجول في دواخلنا!

قواعد تحدد المصير

١- التقبل السلبي (أنا لا أستطيع): وهذا النوع هو في أسفل القائمة، وفي نفس الوقت هو أشدها خطورة؛ إنه التقبل السلبي الذي تعبّر من خلاله بأشياء سلبية أو سيئة عن نفسك وتَقبَلها وتوافق عليها. وهذا النوع سهل الملاحظة، وعادة ما يأتي على شكل عبارات "أنا لا أستطيع، يا ليتني أقدر، أتمنى لو كنت أستطيع ولكني لا أستطيع".. وهذا النوع من حديث الذات يعمل ضدك، وهو للأسف أكثر الأنواع استعمالاً لدى الناس، كما أنه عبارة عن شكوك ومخاوف وتردد ويأس.

ولك أن تتصور النفس التي تتبرمج على مدى سنوات بمثل هذا النوع السلبي من حديث الذات.

حديث النفس ليس ظاهرة مرضية تجعل صاحبها مثارًا للسخرية أو متهمًا بالجنون، بل هو مجال فسيح يعبر فيه كل واحد منا عن مشاعره وانفعالاته، ويبث آماله وآلامه.

ولعلك الآن أدركت سبب انتشار مشاعر الفشل والإحباط والصراعات والأحقاد والكراهية بين الناس.

عقلك الباطن يستمع إليك وينتظر تعليماتك، ولا يهمه ما تقول له، إنه فقط ينفذ، وإنه خادمك المطيع، ولكن لا تبرمجه بالتعليمات السلبية فينقلب ضدك.

٢- الاعتراف والحاجة إلى التغيير (أنا محتاج أن): وهذا النوع من حديث الذات محير نوعًا ما، فهو يبدو في الظاهر أنه يعمل لصالحك، ولكنه في الحقيقة يعمل ضدك، ولكن كيف؟

أنت من خلال هذا النوع تعترف بحاجتك إلى التغيير إلى الأفضل وهذا شيء جيد، ولكن كيف يعمل ضدك وقد بدأت بالاعتراف بوجود المشكلة؟

نعم، أنت تعترف بالمشكلة ولا تقدم الحل، والعبارات الآتية ضمن هذا النوع تنتهي بتأكيد وترسيخ المشكلة في عقلك الباطن: أنا أريد أن أترك التدخين ولكني لا أستطيع، أعترف أن وزني زائد ولكن لا يمكنني تخفيضه، أتمنى لو أستطيع ولكن لا فائدة.

٣- القرار بالتغيير (أبدًا لن): وهذا المستوى هو النوع الأول من حديث الذات الذي يعمل لصالحك، فمن خلاله تعترف بالحاجة إلى التغيير، وتتخذ القرار لعمل شيء ما، ومن خلاله تحدد قرارك في صيغة الفعل المضارع وكأن التغيير يحدث الآن فعليًا. وأما العبارات التي تتردد في هذا النوع: أنا لا أدخن، أنا لا آكل كميات من الطعام أكثر من الحاجة، أنا لا أغضب، أنا لا أتضايق عند ذروة المرور، أنا لا أؤجل عملي.

وعندما تنتقل إلى هذا المستوى من حديث الذات أو النفس، فإنك بصورة تلقائية ستجد نفسك قد بدأت في إعادة صياغة ما كنت سابقًا تبدؤه عادة بقولك "لا أستطيع"، وترمي ذلك خلف ظهرك، وتبدأ في إعادة

hiragate.com

صياغة الجمل بصورة إيجابية، وكأنك تقول لعقلك الباطن "قم واستيقظ وأحدث التغيير".

وباستخدام هذا النوع الجيد من حديث النفس، تتحقق تغييرات إيجابية في جوانب نفسية معينة، لأنه بنّاء وإيجابي ومحدد.

٤- هذا ما تستحقه (أنا): وهو النوع أو المستوى الأعظم أثرًا إيجابيًّا من حديث الذات، ولكنه -للأسف- الأقل استعمالاً والأندر لدى غالبية الناس، وهو أحوج ما تكون إليه. فمن خلال هذا النوع ترسم صورة جديدة تمامًا لذاتك وكيانك، ترسمها كما تريدها وتسلمها لعقلك الباطن، ثم تقول له "هذه هي الشخصية التي أريد، انسى كل البرمجة السلبية التي كنتُ أغذيك بها في الماضي، هذا هو برنامجك الجديد، ودعنا منذ اليوم نبدأ العمل بموجبه".

وأما العبارات التي تتردد عادة في هذا المستوى من حديث الذات فهي: "أنا سعيد، أنا منظم لأموري وحياتي، أنا بصحة طيبة"، أنا متحمس، أنا أختار الأفضل دائمًا".

وإذا بدأت تتحدث مع نفسك بهذا المستوى، فستجد أنك قد بدأت تتعامل مع المشاكل والفرص بطريقة بناءة وفاعلة جديدة. إن هذا النوع من حديث الذات أو النفس، هو حديث النفس الإيجابي الذي يسهم في إحداث التغيير نحو الأفضل في حياتك النفسية والاجتماعية والعملية. إنه عكس النوع الأول؛ لأنك من خلاله تستبدل "أنا لا أستطيع" بـ"أنا أستطيع". كما أن هذا النوع يحفزك ويلهمك ويشجعك، ويلامس قلبك وأمنياتك، ويرسم الصور الملونة لأحلامك، ويدفعك إلى الأمام، ويمنحك العزيمة الصلبة، ويملؤك بالثقة والطمأنينة.

ابدأ من اليوم في استعمال هذا النوع من حديث النفس، واجعله بديلاً للأنواع السلبية التي تثقل حياة الناس بالآلام والهموم والمرارة، جرّب وسترى النتيجة المرضية، قم بصياغة العبارات والجمل الإيجابية التي تناسب حاجاتك النفسية ونوعية التغيير الذي توده في حياتك، اكتبها وكررها أكثر من مرة في اليوم وسترى التغيير بنفسك. وطبّق، لأن الذي يطبق هو فقط الذي يستفيد، ودع جانبًا اليأس واحرص على التغيير الإيجابي في حياتك. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

ليس سرابًا

ما قد بدا ببَهاهْ
للعينِ حُلـوًّا نداهْ
صدْقٌ وليسَ سرابًا
فانْظرْ إليهِ تراهْ
القشُّ أضْحى تُرابًا
تنسابُ فيهِ الحياهْ
للوردِ صارَ مِهَادًا
لمّا أرادَ الإلهْ

***

لحسن ملواني*

البحث يولّد المعرفة، والمعرفة تولّد الشوق إلى المزيد.. لا تتوقفوا عن الحفر في أرض معرفة الله؛ فكل معرفة جديدة ستثير لديكم توقًا جديدًا إلى المزيد، وذلك سيؤدي إلى مثابرة الحفر، والحفر إلى مزيد من الشوق إلى المعرفة.

الموازين

مجالس القرآن

كثيرة هي المجالس التي نعقدها بين الفينة والأخرى، وأحلى وأرقى هذه المجالس كلها مجالس القرآن؛ إنها المجالس الربانية النورانية المربية للنفس والروح.. مجالس مزكية تحضرها الملائكة بإذن ربها ويكفيها هذا رفعة وسموًّا.. إنها المجالس التي لا تعادلها مجالس، فما أحلى الحديث عنها، وما أحلى قراءة المقالات والكتب المتحدثة عنها.. وفي هذا الإطار نحاول تقديم قراءة وعرض لكتاب جدير بالقراءة، إنه كتاب "مجالس القرآن من التلقي إلى التزكية".

كتابٌ من تأليف الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله، حيث كتب موضوعه بأسلوب شيق جذاب، معزز بشواهد من الكتاب والسنة بشكل يجعل القارئ في النهاية مقتنعًا بما رام الكاتب توصيله إليه من أفكار، ونعتبره كتابًا دعويًا بامتياز. وإليك بعض أفكاره مختزلة، مقرين أن أية قراءة لكتاب ما، لا يمكن الاستغناء بها عن الرجوع إلى الكتاب قصد الاستزادة والانتفاع أكثر بما ورد فيه من أفكار قد لا ترد في القراءة المقدمة عنه.

في مقدمة الكتاب حدد المؤلف المستهدفين برسالته، فهي إلى المربين وأهل الفضل والصلاح، ودعاة الخير والفلاح، والشباب الباحثين عن وارد من نور، والتائبين والآيبين. ويتبين من خلال هذا، أن رسالته أساسية لاكتساب الصلاح والإصلاح. بعد ذلك أشار الكاتب إلى أهمية الموضوع، والتجلية في تناوله رسالة القرآن. هذا الأخير (القرآن) الذي أبرز الكاتب كثيرًا من مزاياه؛ فبالقرآن جعل الله تعالى محمدًا ﷺ معلّم البشرية وسيدها، وبالقرآن بعث الله تعالى الحياة في عرب الجاهلية.. كما أن القرآن مفتاح لعالم الملكوت، وهو الشفاء والدواء، أحدث انقلابًا ربانيًا عجيبًا في الإنسان.ويتساءل الكاتب عن الذي حدث لنا نحن

الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله

أهل هذا الزمن، فلم يكن أثر القرآن باديًا على تصرفاتنا ومعاملاتنا، ليجيب أن السر يكمن في منهج التعامل مع القرآن؛ فمنهج التعامل مع القرآن الكريم كما جاء في الكتاب، "هو ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من أمر القرآن". لهذا، يدعو الكاتب إلى تجديد عهد القرآن ورسالته، والعودة إلى مدرسة رسول الله ﷺ، ويعد هذا من أهم دوافعه إلى تأليف كتابه المتناول للموضوع.

مجالس القرآن مفتاح المشروع

تحت هذا العنوان، يرى الكاتب منهج تدارس القرآن عبر مجالس القرآن، منهجًا متجددًا دائمًا لا يتقادم، ويعتبر هذه المجالس مدرسة شعبية لنشر ثقافة القرآن، كما يعتبرها منهجًا تربويًا أسسه معلّم البشرية محمد رسول الله ﷺ، كما يعتبرها مشروعًا ننطلق فيه من القرآن إلى العمران. وللدخول في فضاء هذه المجالس الربانية الكريمة صورتان:

الصورة الأولى وتتمثل في مجالس القرآن الأسرية، وذلك بتأسيس المجلس داخل الأسرة الواحدة. ويعتبر الكاتب هذه المجالس ضرورية لبناء شؤون البيت؛ فهي وصفة إيمانية جاهزة من صيدلية الرحمان، وأهميتها بناء الأسرة على مفاهيم الإسلام، لأنها قائمة على منهج كتاب الله تعالى، "وما كان أصحاب رسول الله يجعلون أبناءهم وأهليهم بمعزل عن القرآن". ويعجب الكاتب لمن يطلب العلاج النفسي والاجتماعي، والشفاءُ الرباني بين يديه!

الصورة الثانية وتتمثل في ما سمّاه الكاتب بـ"صالونات القرآن"، ويقصد بذلك "فتح صالون، والبيت للأحباب والأصحاب"، قصد تدارس القرآن الكريم والتأمل في آياته، من أجل تكوين شخصية إسلامية متماسكة نفسيًا واجتماعيًا، وبه ينشأ التعارف بمعناه القرآني الذي يبني الثقة بين الناس. فموائد القرآن كفيلة بتغذية روح التكافل والتراحم والمحبة، ونتيجة ذلك بلوغ أعلى المنازل الإيمانية وأرقى المعاني الروحية. فالمجالس القرآنية تبني شبكة روحية فريدة عموديًا وأفقيًا. وقد أرفق الكاتب توضيحه لما ذهب إليه، بأدلة من أحاديث النبي ﷺ، ومن عدم اشتغال القرآن الحقيقي بمعزل

hiragate.com

عن شروط، على رأسها تهيئة القلب لاستقباله؛ فقلب المؤمن حقًّا هو الذي يشغل قاطرة الإيمان. ويخلص الكاتب مما سبق، إلى أن مجالس القرآن وصالوناته، تعتبر بمثابة مدارس لتخريج مصابيح القرآن في الأمة.

ولإنشاء مجالس القرآن، بيّن الكاتب أن تلك المسؤولية يتحملها كلٌّ من العلماء الربانيون، وأهل الخبرة التربوية، وبعدهم أهل الصلاح ومحبي الإصلاح من المسلمين عمومًا، ولا يجوز إلقاء المسؤولية على البعض دون البعض الآخر.

وبناء على التجربة، أبرز الكاتب أن مشروع مجالس القرآن هو الذي يصنع أساتذته، مؤكدًا أن "هذا سر من أسرار القرآن العجيبة".

وأوضح في الأخير أن برنامج سبيل الله هو القرآن الكريم، وأستاذ هذا الطريق هو الرسول ﷺ، ومقرها الحركي بيت الله ﷻ.

جلساء الملائكة

بعد تعريف الكاتب للجليس، أشار إلى كون مجلس القرآن هو الذي يستحق أن تشد إليه الرحال، وتقطع من أجل الوصول إليه المسافات والأميال، وبلغة الكاتب فهذا المجلس "يتضوع منه مسك الروح بما حضره من أهل الله وملائكته. مجالس القرآن -إذن- خير أنواع المجالس على الإطلاق، وقد ذكر الكاتب في هذا أحاديث عديدة، منها الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ والذي يقول فيه: "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه" (رواه مسلم).

فعلى المسلم أن يُسلك نفسه وصاحبه في مجلس من مجالس القرآن، سيرًا من خلاله إلى رضوان الله تعالى. ولبناء النفس وتربيتها، يجب أن يكون ذلك على منهج القرآن، كما عرضه القرآن وهو ثلاث خطوات قابلة للتفصيل وهي:

موائد القرآن كفيلة بتغذية روح التكافل والتراحم والمحبة، ومن ثم بلوغ أعلى المنازل الإيمانية وأرقى المعاني الروحية، وبتالي فإن المجالس القرآنية تبني شبكة روحية فريدة عموديًّا وأفقيًّا.

حراء

١- التلاوة بمنهج التلقي

ومن أهم ما أشار إليه الكاتب في هذا الإطار، أن التلاوة بركة وزكاة في نفسها لثبوت الأجر على كل حرف نتلوه من القرآن الكريم، لكن التلاوة لكي تكون مثمرة ينبغي أن تتم بحضور قلبي، وتتلى على أنها كلام الله ﷻ. فالقرآن رأس الذكر، ولتحصيله يجب أخذه بمنهج التلقي، والتلقي في اللغة يعني الاستقبال عمومًا، وتلقي القرآن يعني استقبال الوحي على سبيل النبوة كما هو الشأن بالنسبة لسيد المرسلين محمد ﷺ، وإما أن يكون التلقي بمعنى استقبال القلب للوحي على سبيل الذكر "وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي". ويشير الكاتب إلى أن ذلك ينبغي أن يكون بالتعامل مع القرآن بصورة شهودية، ويعني بذلك اعتباره وكأنه يشهد تنزله عليه الآن غضًّا طريًّا.

hiragate.com

٢- التعلم والتعليم بمنهج التدارس

يتعلق الأمر بتعلم وتعليم القرآن الكريم عبر منهج الدراسة والتدارس، ويتم ذلك باستقصاء معاني العبارات ووجوه المعاني، والدلالات للمقاصد والغايات من كل آية أو سورة، وتناول ذلك من خلال التلاوة والتفسير.

٣- التزكية بمنهج التدبر

والتزكية حسب الكاتب تعني عملية التطهير للنفس قصد تخليصها من مراعاة غير الله وصولاً إلى مرتبة الإخلاص، " فالتزكية -إذن- هي أشبه ما تكون بنتيجة للتلاوة والتدارس لكتاب الله، إلا أن هذه النتيجة لن يتم استثمارها على الحقيقة، ولا تحصيلها على التمام إلا إذا التقطت بمنهج التدبر". وقد شرح المؤلف كلاً من التدارس والتدبر لغة واصطلاحًا، كي يبين ضرورة وأهمية هذين العنصرين في منهج التعامل مع القرآن الكريم بغية الوصول إلى أسراره وأنواره.

المنهج العلمي لإقامة مجالس القرآن

أورد الكاتب مجموعة من الضوابط الكفيلة بإنجاح مجلس التدارس نختصرها فيما يأتي:

• الضابط الأول، ويتمثل في ضرورة تجريد القصد لله تعالى.

• الضابط الثاني، ويتعلق بتحين أوقات الانشراح النفسي للقرآن الكريم.

• الضابط الثالث، ويتعلق بمراعاة أدب المجلس.

• الضابط الرابع، وهو عدم عقد أكثر من لقاء واحد أو لقاءين على الأكثر.

• الضابط الخامس، ويتمثل في احترام قواعد تدارس القرآن العظيم.

• الضابط السادس، وهو مبادرة أحد الجلساء من أهل العلم أو أهل الحلم، لتسيير المجلس.

• الضابط السابع، وهو إشراك الجميع في عملية التدارس والتدبر.

• الضابط الثامن، وهو تجنيب الجلساء الدخول في الجدل العقيم.

• الضابط التاسع، وهو الإعراض عن اللغو من القول والابتعاد عنه مطلقًا.

• الضابط العاشر، وهو تحديد أهداف المجلس من التدارس.

• الضابط الحادي عشر، وهو اعتماد تفسير مختصر مما تلقته الأمة بالقبول وأجمع على صحته السلف والخلف.

• الضابط الثاني عشر، وهو قراءة القرآن أولاً، ويمكن أن تتداول القراءة بين جميع الحضور.

• الضابط الثالث عشر، فإذا تمت حصة التلاوة والاستماع إلى كتاب الله، فليشرع في قراءة خلاصة التفسير قراءة مسموعة هادئة مفصلة.

• الضابط الرابع عشر، وهو تناول قدر من الآيات بما يشكل معنى يحسن الوقوف عنده.

• الضابط الخامس عشر، وهو التحقق من إدراك أهل المجلس من إدراك حسن المطلوب.

• الضابط السادس عشر، وهو الدخول في محاولة التعرف على الهدي المنهجي للمقروء بعد اتضاح المعنى.

• الضابط السابع عشر، وهو فتح باب التدبر للآيات، والتفكر في خلق الأنفس والأرض والسماوات.

• الضابط الثامن عشر، وهو قطف الثمار من المدارسة، ومن بينها التعرف على القضايا الأساسية التي تعالجها السورة إجمالاً، والتعرف على المحور الرئيس للسورة.

• الضابط التاسع عشر، ويعتبره الكاتب الضابط الجامع والكلي لضمان سير مجالس القرآن ونجاحها، وهذا الضابط هو الحفاظ على ميثاق القرآن العظيم والالتزام به بقوة.

وختامًا، أشار الكاتب إلى أن القرآن العظيم لا يفتح أبواب أسراره إلا بشرط الإخلاص، وبأخذه بقوة، ويعتبر ذلك شرط الاستقامة في السير إلى الله، وقد كان هذا منهج الأنبياء والصديقين. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

د. محمود أحمد هدية*

ليوا

وجهة الرطب في الخليج

ليوا، هي واحة التاريخ، والعاصمة القديمة، والحصن المنيع، وقلب الظفرة، حائط الصد المنيع وحصن الأمان في العهود السابقة، ووجهة الاحتفاء في الوقت الحالي.. إنها واحدة من أكبر الواحات في الجزيرة العربية والمدخل الرئيس للربع الخالي، كونها تقع في الطرف الشمالي من صحرائه التي هي أكبر صحراء رملية في العالم. تتبع "ليوا" اليوم إمارة أبي ظبي بالمنطقة الغربية بدولة الإمارات العربية المتحدة.

تقع ليوا على بعد ٢٠٠ كم إلى الغرب من "العين"، يتراوح عرضها بين ٤٠-٥٠ ميلاً، وتضم بين جنباتها أكثر من ٦٠ قرية، هذا بخلاف محاضرها البالغة نحو ٥٢ واحة، من بينها "النشاش وحفيف وقطوف والهيلة والمارية الغربية". تتخذ ليوا شكل قوس أو هلال، يمتد من الجنوب الغربي حتى الجنوب الشرقي لمسافة تزيد عن ١٠٠ كم في قلب إقليم الظفرة.

تعود شهرة واحة ليوا لذلك التباين في تضاريسها وموقعها بين بساتين النخيل الخضراء، والكثبان الرملية الحمراء المميزة لتلك الواحة، فاعتبرت المسكن والمشتى والمرعى؛ حيث احتوت على المزارع والقلاع والحصون، بالإضافة إلى الكثبان الرميلة الحمراء المشهورة بها. فعرفت تلك المنطقة بمزارعها ومراعيها الخصبة، لوفرة المياه الجوفية القريبة من سطحها، والتي دعمت بدورها الزراعة وتربية الحيوانات في الواحة، حيث اعتمد أهل ليوا على الزراعة والرعي، فضلاً عن أمور التجارة في بعض إنتاجهم من السمن أو الحطب أو التمر، والتي كان مقصدها أبوظبي، ودبي، والعين، وغيرها من المناطق.

كما تضفي الحصون والقلاع عليها نوعًا من عظمة الموقع، التي يعود تاريخ بناء بعضها إلى أكثر من ١٠٠ عام، والمعروف منها حتى الآن يصل عدده إلى ١٥ قلعة وبرجًا موزعة في واحاتها، ومنها على سبيل المثال قلعة ظفير، وقلعة خنور، وقلعة حويل أو أم حصن، وقلعة قطوف، وقلعة نميل، وقلعة مزارعة، وقلعة الميل، وقلعة الجبانة، وبرج ماريا الغربية، وقلعة الهيلة.

وتتميز هذه الأبنية بأبراج مراقبة دائرية، وجدران عالية لا يقل ارتفاعها عن ثلاثة أمتار، بالإضافة إلى فتحات للبنادق على مسافات منتظمة، للتأهب واليقظة والتصدي لأي هجوم. أما قلعة الميل التي تعود لقبيلة بو فلاح، فقد تم بناؤها في عهد الشيخ محمد بن شخبوط ابن ذياب (١٨١٦-١٨١٨م)، هذا بخلاف القلاع المحاطة بالكثبان الرملية. وتُعتبر قبيلة بني ياس أعرق القبائل وأكثرها أهمية في دولة الإمارات العربية، والتي تعطينا مثالاً على نمط الحياة في ليوا قديمًا؛ حيث اعتمدت تلك القبيلة على تربية الإبل والماشية، وزراعة النخيل والمحاصيل الزراعية الأخرى، بالإضافة لصيد اللؤلؤ لخبرة وامتلاك أهلها سفنًا للصيد والتنقل، مما ساعدهم على المرور من الواحة إلى الساحل أثناء موسم صيد اللؤلؤ.

كما تعد الكثبان الرملية من أهم السمات الجغرافية المتميزة في "ليوا"، حيث يعتبر "تل مرعب" أعلى الكثبان الرملية في العالم، حيث يزيد ارتفاعه على ٣٠٠ متر بدرجة ميلان ٥٠ درجة نحو الأعلى، ما يجعله المقصد

الأول لمحبي رياضة بالسيارات بدولة الإمارات.

وظلت ليوا على مكانتها حتى جاء المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان -رحمه الله- فمنحها اهتمامًا استثنائيًا قبل أن يتسلم مقاليد الحكم، وأخذ على عاتقه تطوير المنطقة، وبدأ التعمير والزراعة في ليوا وفي محاضرها بشكل منتظم.

النخلة والرطب في تراث ليوا

"إنها راعية الأجداد ثم الآباء والجيل الحالي، وسترعى الأجيال المقبلة"؛ هذا ما قاله المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، حيث عدّ النخلة الغذاء والأمان عندما انقطعت الدولة في القدم عن استيراد الغذاء إبان الحرب العالمية الثانية.. فهي مصدر شعور بالأمان، لأن الرطب

يعيش لمدة طويلة تمتد حتى العام أو أكثر.

تكثر أنواع وأصناف الرطب الموجودة في الإمارات بصفة عامة وفي "ليوا" بوجه خاص، والعديد من هذه الأصناف ربما يكثر في منطقة عن أخرى، حيث تختلف فقط في المذاق حسب التربة وكمية الرطوبة وحجم ونوعية المياه التي تسقى بها؛ فحينما يكون الماء مالحًا تموت النخلة ويفسد طعم رطبها، لذلك أفضل الثمار هي المعتمدة على الماء العذب وهو ما وجد بـ"ليوا".

ويزداد التنافس بين المواطنين على زراعة النخيل، لبساطة الزراعة وانتشار مصانع التعبئة، حيث يوجد بدولة الإمارات قرابة ٥٢ صنفًا من الرطب، منها خصاب من شبيصي ودباسي وحبش.. وتدعى المجموعة الثانية خرايف؛ وتضم ٤٠ صنفًا، منها خلاص وخنيزي، وأيضًا برحي وهلالي وحلاوي.. وتشتمل المجموعة الثالثة على الفرض، وهي على ٨ أنواع من لولو برحي، وأيضًا فرض ومفرضاني وبوسن.. وفي المجموعة الرابعة ٢٣ اسمًا لأصناف أخرى من الرطب، منها جش وحمد وأشهل، وبوكيبال، والخاطري والزاهدي والزاملي.

ويعتبر "الخلاص" صاحب الثمرة الصفراء البرتقالية، من أطيب وأجود الأنواع المعروفة في الإمارات والمنتشرة في معظم أرجاء الدولة نظرًا لسهولة زراعتها، حتى إن بعض الأسر نجحت في زراعتها داخل المنازل. فهي تجنى كل عام، وموعد نضجها وسط الموسم، فمنها يصنع الدبس (دبس التمر)، أما الزائد عن الاحتياج فيتم تعبئته ومن ثم بيعه في الأسواق والمهرجانات.

ومن الأنواع الموجودة في الإمارات أبو الرمول، وأبو معان، والأخير منتشر في كل مكان، ويعدّ من الأصناف التجارية.

كما يقبل أهل الإمارات على الاهتمام بـ"الخنيزي" ذي اللون الأحمر القاني عندما ينضج. والمعروف أن أول بشارة لموسم الرطب هو أن يقطف الأهالي "النغال"، كما يصل إلى الدولة

"نغال" سلطنة عمان الذي يمر مبكرًا بسبب اختلاف درجات الحرارة.

مهرجانات ليوا

تقدم دولة الإمارات العربية العديد من المهرجانات السنوية الخاصة بالتمور، ومنها "مهرجان الإمارات الدولي للنخيل والتمر" الذي يعقد سنويًّا، ومهرجان "ليوا للرطب" بـ"أبوظبي"، ومهرجان "ليوا عجمان للرطب".

وتختص ليوا بعدد من المهرجات الخاصة بها وعلى رأسها مهرجان ليوا، الذي يقام بشكل سنوي، ويهدف في الدرجة الأولى لتبادل الخبرات الفنية بين المزارعين لزراعة أفضل وأجود أنواع الرطب.

ويُعدّ هذا مهرجان إحدى أهم الفعاليات الرئيسية التي تُقام في منطقة الظفرة، حيث نُظم فيه في ١٥ دورة، يضم بين فاعلياته باقة متنوعة من الأنشطة الاجتماعية والثقافية، فهو مناسبة للاحتفاء بمختلف الأعراف والتقاليد الإماراتية، ولا سيما شجرة النخيل التي تحتل موقعًا بارزًا في التراث الإماراتي الأصيل، والذاكرة الجماعية للمجتمع الإماراتي.

يقام المهرجان على مساحة تمتد لأكثر من ٢٠ ألف متر مربع في منطقة ليوا، ويستقطب فيما يقارب ٧٠ ألفًا من السياح والزوار من المواطنين والمُقيمين في إمارات الدولة. ويضم المهرجان في دورته العديد من الفعاليات الشعبية والتراثية والفنية.. هذا بخلاف العديد من الجوائز التي تقدم بشكل سنوي للمشاركين والفائزين بالمهرجان.

هذا بالإضافة إلى مهرجان ليوا عجمان للرطب والعسل، الذي يعتبر محطة تراثية وثقافية تقام بشكل سنوي، ويهدف لتعزيز مكانته كوجهة مهمة على خريطة السياحة التراثية المحلية. وبات المهرجان محل استقطاب سياحي لإمارة عجمان، وموعدًا سنويًّا لعشاق التراث والمهتمين بخيرات الإمارات ورطبها.

وتخصص اللجنة المنظمة للمهرجان ١٥٥ جائزة موزعة على تسع فئات، هي الخلاص، الدباس، الفرض، الخنيزي، بومعان، الشيشي، إضافة إلى نخبة الظفرة للرطب، ونخبة ليوا للرطب، ومسابقة أكبر عذج. ويحظى الفائزون الـ ١٥ الأوائل عن كل فئة، بجوائز مادية عدا فئتي الخلاص والدباس اللتين يبلغ عدد الفائزين في كل منهما ٢٥ فائزًا، إضافة إلى عشرات الجوائز المادية في بقية المسابقات التي يحتضنها المهرجان. ■

(*) كاتب ومحاضر مصري.

د. نفيسة الزكي*

آفة الإدمان الإلكتروني

لقد صار التقدم التكنولوجي يشمل كل مجالات الحياة؛ إذ لا يخلو شيء حولنا من التكنولوجيا في صناعته، ومن هذه المجالات مجال الترفيه والتسلية التي تستهدف الأطفال. فقد أصبح هذا المجال صناعة، بل أكثر من ذلك تطورت صناعته إلى حد التنافس فيما بين الشركات العالمية للهيمنة على هذا السوق. فالألعاب الإلكترونية تكاد تنتشر في كل منزل، وتستهوي الكثير من المستخدمين من مختلف الأعمار وخصوصًا الأطفال؛ لما فيها من إثارة وتشويق وتفاعل مع الأحداث، ولما فيها من جذب وإبهار.. فإيقاع الحركة السريعة

واللون والصوت، عوامل تجذب الأطفال لمتابعة هذه الألعاب، بل إن التفاعل الحاصل بين اللعبة والطفل أثناء اللعب ومتوالية التقدم من مرحلة إلى أخرى في اللعبة، يزيد من تعلقه بها إلى درجة الإدمان، وهو ما يعدّ مؤشر خطر على صحة الطفل؛ إذ إن إدمانها كإدمان المخدرات بشتى أنواعها، بل إدمان الألعاب الإلكترونية قد يُفقد الطفل الإحساس بالوقت وأهميته، وقد يجعله في حالة ضياع مستمر من خلال الابتعاد عن الأهل، والتضحية بساعات النوم والأكل، مما يجعله شرسًا غاضبًا كلما حاول أحد أن يمنعه من الاستمرارية في اللعب.

ألعاب تؤثر على صحة الطفل

الألعاب الإلكترونية تعرف بأنها نشاط ينخرط فيه اللاعبون في نزاع مفتعل، محكوم بقواعد معينة، بشكل يؤدي إلى نتائج قابلة للقياس الكمي. ويطلق على لعبة ما بأنها إلكترونية في حال توفرها على هيئة رقمية، ويتم تشغيلها عادة على منصة الحاسوب، والهواتف النقالة، والإنترنت والتلفاز، والفيديو، ومختلف الأجهزة المحمولة.

فالألعاب الإلكترونية -إذن- تحتوي على محاكاة لألعاب حقيقية ككرة القدم، وسباق السيارات، والمصارعة، والملاكمة.. أو على الألعاب الخيالية كغزو الفضاء وحرب النجوم.. وفي أي منها يقوم الطفل اللاعب بالتحكم ببعض عناصر اللعبة، كالأسلحة المستخدمة وتوجيهها وإطلاقها، أو اختيار اللاعبين أو المحاربين وتشكيلهم ووضع خطة ودور لكل منهم، ثم توجيههم والمحافظة على سلامتهم وإلحاق الهزيمة بخصومهم.

والألعاب الإلكترونية ليست كغيرها من الألعاب التقليدية الأخرى بالنظر إلى الآثار السلبية المترتبة عنها؛ فقد أشارت عديد من الدراسات والأبحاث إلى أن ثمة مخاطر لهذه الألعاب، من حيث دورها في حوادث العنف المدرسي بأنواعه المختلفة، كما أنه يترتب عنها آثار صحية ونفسية عديدة نتيجة إدمان الأطفال عليها، كمشكلات البصر والسمع.. أما على صعيد إنماء قدرات الأطفال ومهاراتهم العقلية والحركية، أو مهارة تعلم اللغات، أو مهارة إدارة الوقت، فلا يرى هؤلاء الباحثون ثمة فوائد لها.

كما بينت هذه الدراسات أيضًا أن أهالي الأطفال المدمنين على الألعاب الإلكترونية، يواجهون معاناة حقيقية نتيجة سهر الأطفال في ممارسة هذه الألعاب، مما يؤثر على تحصيلهم الدراسي، فضلاً عن استحواذ هذه الألعاب على وقتِ وعقول أطفالهم، مما تسبب في عدة مشكلات داخل الأسر، كضعف التواصل الأسري بين أفراد الأسرة، وبروز نزعة

الأنانية لدى الأطفال. وقد أبدى الأهالي قلقهم مما تحتويه هذه الألعاب من مشاهد عنف ولقطات جنسية.

ألعاب تدفع إلى ارتكاب الجرائم

والألعاب الإلكترونية وفقًا للعديد من المهتمين والمتتبعين، كانت ولا تزال السبب في كثير من المآسي؛ فقد ارتبطت نتائج هذه الألعاب خلال السنوات الأخيرة بازدياد السلوك العنيف، وارتفاع معدل جرائم القتل، والاغتصاب والاعتداءات الخطيرة في العديد من المجتمعات.. والقاسم المشترك في جميع هذه الدول هو العنف الذي تعرضه وسائل الإعلام أو الألعاب الإلكترونية، الذي يتم تقديمه للأطفال والمراهقين بصفته نوعًا من أنواع التسلية والمتعة.

وفي باب علاقة الألعاب الإلكترونية بالعنف الممارس من طرف الأطفال أيضًا، أثبتت مجموعة من الدراسات وجود علاقة بين السلوك العنيف للطفل ومشاهد العنف التي يراها على شاشة التلفاز أو يمارسها في الألعاب الإلكترونية، كما أثبتت هذه الدراسات بأن العنف يتضاعف بلعب الأطفال ذات التقنية العالية؛ فنسبة كبيرة من الألعاب الإلكترونية تعتمد على التسلية والاستمتاع بقتل الآخرين وتدمير أملاكهم والاعتداء عليهم بدون وجه حق، وتعلم الأطفال والمراهقين أساليب ارتكاب الجريمة وفنونها وحيلها، وتنمي في عقولهم قدرات ومهارات العنف والعدوان، التي تقودهم في النهاية إلى ارتكاب الجرائم.

وبناء على ما سبق، يمكن القول بأن ممارسة الأطفال للألعاب الإلكترونية التي تعتمد على العنف، يمكن أن تزيد من الأفكار والسلوكيات العدوانية عندهم، بل قد تكون هذه الألعاب أكثر ضررًا من أفلام العنف التلفزيونية أو السينمائية، لأنها تتسم بصفة التفاعلية بينها وبين الطفل، وتتطلب منه أن يتقمص الشخصية العدوانية ليلعبها ويمارسها، فيصير بذلك عنيفًا وكلما ازداد عدد قتلاه زاد رصيده من النقط، ومن هنا يتعلم بأن القتل شيء مقبول وممتع.

ألعاب إلكترونية تدمر القيم

وبالإضافة إلى الأضرار السابقة الذكر، هنالك أضرار أخرى لا يمكن إلا أن ندق نحوها جرس الخطر، ويأتي على رأسها الأضرار الدينية؛ ذلك أن الكثير من الألعاب الإلكترونية تروج لأفكار وألفاظ وعادات تتعارض مع تعاليم ديننا الإسلامي

وعاداته وتقاليده، كما تسهم في تكوين ثقافة مشوهة ومرجعية تربوية مستوردة، إذ تدعو إلى الرذيلة والترويج للأفكار الإباحية الرخيصة التي تفسد عقول الأطفال والمراهقين على حد سواء، فمثل هذه الألعاب تؤثر سلبًا على اللاعب أو المُشاهد. كما أن تعلق الأطفال والمراهقين بالألعاب الإلكترونية، قد يلهيهم عن أداء بعض العبادات الشرعية، وبالذات أداء الصلوات الخمس في أوقاتها، كما أنها قد تلهيهم عن طاعة الوالدين والاستجابة لهما وتلبية طلباتهما، بالإضافة إلى إلهائهم عن صلة الأرحام وزيارة الأقارب.

التأثيرات السلبية على الجسم

أما فيما يخص الأضرار الصحية المترتبة عن الألعاب الإلكترونية، فقد أكدت مجمل الدراسات أن المدمنين على هذه الألعاب يعانون من إصابات تتعلق بالجهاز العظمي والعضلي نتيجة الحركة السريعة المتكررة، كما أن الجلوس لساعات عديدة أمام الحاسب أو التلفاز، يسبب آلامًا مبرحة في أسفل الظهر، ضف إلى ذلك أن كثرة حركة الأصابع على لوحة المفاتيح، تسبب أضرارًا بالغة لإصبع الإبهام ومفصل الرسغ نتيجة لثنيهما بصورة مستمرة. كما تؤثر الألعاب الإلكترونية سلبًا على نظر الأطفال، إذ قد يصاب الطفل بضعف النظر نتيجة تعرضه لمجالات الأشعة الكهرومغناطيسية قصيرة التردد، المنبعثة من شاشات التلفاز أو الحاسب، التي يجلس أمامها ساعات طويلة أثناء ممارسته اللعب. كما أن حركة العينين تكون سريعة جدًّا أثناء ممارسة الألعاب الإلكترونية، مما يزيد من فرص إجهادها وهذه بدورها تؤدي إلى حدوث احمرار بالعين وجفاف وحكة.. وكلها أعراض تعطي الإحساس بالصداع، والشعور بالإجهاد البدني وأحيانًا بالقلق والاكتئاب.

العزلة عن عالم الواقع

أما على مستوى الجانب الاجتماعي فيمكن القول بأن الألعاب الإلكترونية تصنع طفلاً يصعب عليه الاندماج؛ ذلك أن الطفل الذي يقضي ساعات طوال في ممارسة الألعاب الإلكترونية بدون تواصل مع الآخرين، يتحول إلى طفل غير اجتماعي، ينطوي على ذاته على عكس الألعاب الشعبية التي تتميز بالتواصل. كما أن إسراف الطفل في التعامل مع عوالم الرمز، يمكن أن يعزله عن التعامل مع عالم الواقع، فيفتقد المهارة الاجتماعية في إقامة الصداقات والتعامل مع الآخرين، ويصبح خجولاً لا يجيد الكلام والتعبير عن نفسه.. وقد تؤدي هذه الألعاب بما تحمله من أخلاقيات وأفكار سلبية، إلى المزيد من الانفصال الأسري والترابط الإنساني مع الآخرين، وارتباط الطفل بالقيم والأخلاقيات الغربية التي تفصله عن مجتمعه وأصالته.

في الختام نخلص إلى أنه بات من الضروري معالجة مشكلة الآثار السلبية المترتبة عن الألعاب الإلكترونية، إذ إن أضرارها في تزايد مستمر مع تزايد المقبلين عليها وخاصة من الأطفال. وفي كل الأحوال تعد الدائرة الأقرب لهذه المعالجة، هي تفعيل دور هيئات الرقابة الحكومية والمختصة في مراقبة ما يطرح بالأسواق من هذه الألعاب، وضرورة إشراف الأهل على شراء برامج الألعاب المناسبة لأعمار أطفالهم، فضلاً عن تفعيل دور المدرسة في توعية الأطفال بمخاطر الإدمان على تلك الألعاب، وكيفية ممارستها بصورة صحيحة، وإلزام المحلات التجارية بوضع معلومات تعريفية عن طبيعة الألعاب المعروضة والفئات العمرية المناسبة لها. ■

(*) باحثة في علم النفس، جامعة محمد الخامس، الرباط / المغرب.

د. عمر ليثي*

أيهما العليل؟

لـ - لقد حكمت على أن كليهما عليلٌ يا صاح.. أوليس هذا عجيبًا!؟ فكيف يصيح أبكم؟ ولماذا يحاول استنفار غيره مع علمه بعجزه عن حيلة النداء؟ ولماذا ينادي على أصمّ؟ وأيّ خير يرجوه أبكمُ من أصمّ؟ إن كان يتوسل به لقضاء حاجة فلعل عجزه عنها لا يقلّ عن

عجز المتوسل.. وإن كان يستفزه بالصوت ليثبت أمام ضميره قدرتَه على النداء ويقتل إحساس العجز في فمه فإن صياحه بأصمّ لن يَرجع إليه بشيء.. بل لو أقسم له الأصمّ بسماع ندائه لكان شاهدَ زور؛ إذ حمَّل نفسه شهادة لم تكن ولو كانت لم تبلغْه.. إذن فكيف يستنفر العليل عليلاً؟ غيِّر عنوانَ المقال، اكتب كلامًا معقولاً يا أخي!

– نادى أبكم على أصمّ.. وقد رأيتُ بأمّ عيني وسمعت بأذني هاتين.. هل سأكذِّب نفسي لأرضيك؟

– لا بأس.. اهدأ قليلاً.. لا داعي للانفعال.. يبدو أن حرارتك ارتفعت وتحتاج إلى دواء.. لا تقلق ستكون بخير.. لكن حدثني.. هذيانك هذه المرة يعجبني.. أين رأيت تلك الرؤيا العجيبة؟ أو أين سمعتها؟

– لا تستهزئ بي؟

– أنا لا أستهزئ صدقني.. طيب، عن أيّ أبكم وأيّ أصم تتحدث؟

– بل قلْ لي أنت أولاً.. ألم تر أبدًا رجلاً أعرج يدوس بقدمه الزمِنة ليستفز محرّك سيارة خرِب؟

– بلى رأيت.

– كلام جميل.. واصل كلامك، هات ما عندك.

– أما رأيت مريضًا أرخاه المرض يضرب بسَوطٍ بالٍ ظهْرَ حمارٍ سقيمٍ مدنِف؟

– بلى.

– أما رأيت تلميذًا بليدًا يتلصص إجابات امتحانه من آخر أشد بلادة؟

– بلى.

– أما رأيت فقيرًا من أهل الصدقة يستسلِف مسكينًا لا يجد قوتَ يومه؟

– بلى.

– كفى كفى! تحاول أن تستدرجني في حديثك هذا كعادتك، ولكن لن أتركك تنجح هذه المرة.

– عذرًا لم يكن قصدي.. انس كل ما قلتُ، أو اعتبره كلامًا مجردًا لا غرضَ من ورائه.. لكن دعني أعرض عليك أمرًا آخر، وليكن آخر حديثنا لهذا اليوم.

– لقد اتفقنا على استنفار العليل، ولم نتفق على مثالاته وصوره.. ولكن بالله عليك قلْ لي: ما تشخيصك للداء في الحالة الآتية، وما أعراضها؟

"نزل قوم من الفضلاء ذوي مروءة قريةً فقيرة استبد حاكمها بقوت أهلها واستغفلهم في أرزاقهم، فأرادوا أن يُنزلوهم جميعًا على قِسط السماء، فاقتسموا أعمالهم وأوكلوها إلى أصحابها، فانظر واحكم؛ علموا أنهم يحتاجون مجتهدًا يكشف لهم حقيقة تشريعات السماء في كل نازلةٍ، ويخطط لهم سبلَ الخلوص إلى غاياتهم الحميدة.. فلم يجدوا إلا مثقّفًا نبيلاً اطمأنوا إليه.

وعلموا أنهم يحتاجون متكلمًا شجاعًا، ليرفع شكوى الناس إلى مواضعها.. فلم يجدوا إلا شجاعًا غيرَ متكلمٍ، فأوكلوا الأمر إليه.

وعلموا أنهم يحتاجون ألف دينار ليبنوا مدرسة ويعولوا طلابًا فقراء، ويهذّبوا، ويثقّفوا، ويُربُّوا، ويبعثوا وعيَ ساكنيها من رفاته.. فنظروا في جيوبهم فلم يجدوا غير عشرة دراهم فقالوا: تكفي.

وعلموا أنهم يحتاجون مُعلمًا يستنهض الناس ويعرّفهم حقيقةَ بؤسهم وحِطَّتهم.. فلم يجدوا إلا مُعلمًا غشومًا إن أراد أن يُعلِّم ذهب يُعيِّر ويوَبخ، فأوكلوا الأمر إليه.

وعلموا أنهم يحتاجون عامًا أو عامين حتى يتخلق أهلُ القرية بأخلاقهم ويجتمعوا على رأيهم، لكن ماذا يصنعون؟ إنهم يريدون الرحيل بعد ثلاثة أيام، لينزلوا قريةً أخرى بها ناس كالناس وحاكم كالحاكم.. فقرروا أن يفرغوا من مهمتهم في أيامهم الثلاثة.

وعلموا"..

– يكفيك.. يكفيك..

– هذا يا صاحِ داءٌ قديمٌ يُسَمُّونه "استنفار العليل". ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

مجيد الحداد*

العمران
أسمى وظائف الإنسان

تتعالى صيحات العقلاء محذرة من إفلاسٍ وشيك لأدوار الإنسان في ظل سيادة عولمة العمران، التي أفرغته من محتواه ورموزه القدسية، وسيدت الآلات المعمارية التي بقدر ما نافحت الجبال وناطحت السحاب، جرفت أحلام البشرية الموروثة من تعاليم السماء، وجردت معالم العمران من الروح التي بها تقاوم الدمار، فصرنا نتوهم بتطاولنا في البنيان أننا نشيد المآثر، ولم ندر بحجم البؤس الذي سكن

الطوابق وأذن بخراب الديار وشتات الأمصار، وتقطيع الجوار بعد أن طفت على الوجود عصارات الجرم البشري جوًّا وبرًّا وبحرًا.

ولا بد أن تتوالى الصرخات من ذوي النُهَى لأجل تصحيح مسار البشرية، وإلا سوف ننزاح حتمًا عن سبيل الهدى، فتتبدد الطاقات وتتبخر الغايات التي من أجلها جُعل الآدمي معمِّرًا. آثرنا أن نبوح ببعض ما يختلج الضمير الفزع من ألم الواقع الكئيب، والفؤاد المكلوم من فقدان المجد التليد، عسى أن نوقظ بعض الهمم، وحصيلة جهدنا لا تتجاوز إثارة مشاعر اليقين التي تعيد التفهم والتعقل لأدوار الإنسان في الحياة.

وظيفة الإنسان الوجودية

العمران أو التعمير والاستعمار، هو وظيفة الإنسان الوجودية، والتجسيد العملي لأمانة الاستخلاف التي عجزت عنها كل الخلائق، وحملها ابن آدم الخليفة معدن الأسرار ومستودع الأفكار والرقائق: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾(الأحزاب:٧٢)؛ هي أمانة وتصريف لكل أدواره الاستخلافية، إن رعاها وقدّر قدرها سعد بها وأسعد وكبر في عين الخلائق ورشد، وإذا لم يَرْعَها انقلبت عليه خزيًا وندامة دنيا وآخرة، وهوى كيانُه وتبدد.

والعمران المتوازن المتكامل في أزهى صوره وألطف ملامحه وأيسر دلالاته، يحتضن معاني إرساء القواعد، وتسوية الأرضية، وتوسيع الأفنية، وبناء الأعمدة، وتسقيف الأسقف، وتزيين المنشأ بما جاد به الجهد البشري من إمكانات مادية وروحية، وتنجلي تضاريسه في تشييد الصروح والقباب والصوامع والأهرام.. كما تنجلي غضاريفه في تهذيب الضمائر وتوجيه القيم وتسديد الأماني والأحلام.. وإن كان من مواده الرئيسة لبناء الصروح والقباب؛ زبر الحديد والنحاس والرخام، فإن من الأعمدة الصامدة لبناء العقول وصحوة الضمائر وتهذيب الأخلاق؛ الوحي البراق وهدي النبي العدنان صاحب الشريعة والبرهان، وحين تتطابق عناصره المادية والروحية، يقوم العمران ويكتمل ويربو، وبتغييب أحد العنصرين أو تغليبه على الآخر، يطيش أو يخبو. فليس كل بناء عمران ما لم يباشره ويتكلفه الإنسان مادة وروحًا، وإلا فالجبال الراسيات شوامخ تأبى إلا أن تحطم الكبرياء الإنساني: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾(الإسراء:٣٧).

بهذا الاستهلال في تحديد المراد بالعمران تكون "القضية التي نرى لفت النظر إليها، أن مصطلح العمارة أو العمران البشري، لا يقتصر على فن البناء بأنماطه وأشكاله وهندسته، أو إقامة البنيان بشكل عام، وإنما يعني بالمفهوم القرآني أو الإسلامي، القيام بأعباء الاستخلاف الإنساني، وفق منهج الله ﷻ وعلى مختلف الأصعدة، أي أنه يشمل النشاط البشري في المجالات المتعددة، المادية والفكرية والثقافية على حد سواء"[1].

إن العمران إذن، هو حصيلة الجهد البشري المتواضع المتعبد، وثمرة التجمع الإنساني الهادف المسدد، وليس التنافس في التطاول المجرد من كل معنى إنساني ورح قدسي بعمران ممجد.

ومن مقتضيات العمران ومستلزماته، الإصلاح في الأرض، وإقامة العدل، والإحسان إلى الخلق، والحفاظ على النوع البشري بالتناسل المشروع، والتعارف والتسامح بين الشعوب والأمم، بمنطق الحب والإيمان والإحسان لا بدافع الحرب والتدمير والخراب.

لماذا الإنسان هو الأقدر على العمران؟

لأنه -بكل اختصار- آية عجيبة، وطاقة فريدة، ونسيج معقد يضاهي حبك السماء، لأنه صنعة الله ﷻ امتزج فيه الروح بالجسد فصار لها أجمل كساء، وزينه العقل والقلب، وقومته الحواس، ودفعته الغرائز، وغدت جميعُها عنوان تفرده؛ فأنتج الفكر والمعرفة بصنوفها، والذوق والفنون بأوتارها ونغماتها، والحب والرحمة والتسامح والأحلام وكل الصرخات الإنسانية بتباريحها وأهازيجها.. وجلَّى

hiragate.com

ذاك كلّه -ومثله ما عجز الفؤاد عن البوح به- في العمران والأهرام بشتى أشكالها وتصاميمها.

الإنسان معجزة الرحمن لا نظير له في كونه البهي، وبرهان النظم والإتقان الذي أعجز الخلائق أن يأتوا بنظير له في الشكل أو الصنع على مر الظهور والأزمان.. كائن يلوحه الناظر في منتهى الصغر وبين طياته يختلج من الأسرار ما طوت عجائب العالم الأكبر، وماج فيه الفلاسفة، وغوى به الشعراء، وتاه فيه الأدباء، ونسج به أرباب الرأي والفكر المقالات الغراء، وتغنى به المطربون وأهل الفن والأذواق.. وفيه من المجهول والمستور كنوز وعجائب بقيت ذخرًا لكشوفات الزمان.

الإنسان كائن من هذا النوع العزيز والطراز الفريد، هو الأجدر حتمًا بأن يتحمل أمانة الإعمار لهذه الأرض الجميلة، حتى يكتمل الجمال الذي أراده الله تعالى فيها؛ لأنها موطن النشأة والتكوين وموضع الاستعمار والتمكين، ودار الاختبار حتى يتميز الأخيار من الأشرار: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾(هود:٦١).

علاقة الإيمان بالعمران

من رحم الإيمان يتولد العمران، وتتعلق أركانه تعلق الجنين برحم أمه، فلا تنهد معالمه أو تميد كما تمسك الجبال الرواسي الأرض أن تميد وتضطرب. وما العمران المقصود والمنشود، إلا حصيلة العمل الصالح المتقن الذي ما فتئت الآيات تقرنه بالإيمان. وعليه، فإن الإيمان والعمران عنصران متطابقان متمازجان لا يكتمل أحدهما إلا بالآخر، ولا يتغافل العلائق بينهما إلا مكابر للحقائق، أو جاهل بهدف الإنسان في الحياة، أو رهين أديولوجية متعصبة، أو مجتر لفكر طائش أعمى لا يرى بنور الإيمان ولا يستقيم على برهان. والتاريخ يشهد والواقع يفصح، أن المعالم العمرانية في شتى الحضارات -قديمة كانت أو حديثة- هي وليدة الدوافع الإيمانية ليس عنها فكاك، حتى في أرقى دول المعمور التي تبدو متحررة من الدين، لم تستطع أن تتنصل فيها

العمران هو حصيلة الجهد البشري المتواضع المتعبد، وثمرة التجمع الإنساني الهادف المسدد، وليس التنافس في التطاول المجرد من كل معنى إنساني ورح قدسي بعمران ممجد.

مشاهد العمران الضاربة في التاريخ جملة وتفصيلاً من عنصر اللاهوت، رغم ما قد يعتور تلك المشاهد من اعوجاج وضلال وظلم وانحلال، نتيجة الزيغ والانحراف عن الدين الذي ارتضاه الله للعالمين.

إن الإنسان عندما يستنبث بذرة الإيمان في قلبه، ويتشرب وجدانه معاني التوحيد ومستلزماته وتسري في وجدانه رويدًا رويدًا؛ يضخها القلب بعد أن امتلأ يقينًا وهدى في كل أركان الكائن البشري، فيزهو الفكر ويصفو المنطق ويهدأ الجنان، كما يضخ الدم الفوار في العروق فترتوي الأنسجة وتزهر الحياة في الأنسجة، يتحول بعدها الكائن البشري إلى طاقة مبدعة كالنور في مشكاة، وينير كل المجالات والميادين الحياتية، ويبدأ في رص البنيان و تشييد العمران.

هكذا تبدأ تتضح العلائق بين العمران والإيمان، علاقة التكامل والأخوة المتينة، وعلاقة التطابق والانسجام، وعلاقة المثير والمتأثر، وعلاقة الأسباب والمسببات.. فلا مندوحة بعدها أن نتصور عمرانًا كامل الأركان دون عنصر الإيمان، ولا مندوحة أيضًا أن نتعقل الإيمان دون أن تبدو له العوالم والمعالم في عناصر العمران.

ملامح العمران من القرآن

ما دام العمران مقصدًا عامًّا من مقاصد الاستخلاف، فإن القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول الذي يحتكم إليه الإنسان لتجسيد أدواره الاستخلافية، يحتضن بين جنباته الأسس المادية والمعنوية للعمران البشري. وباستقراء قصص الأمم السالفة فيه يمكن أن نحدد عناصر العمران، في الإنسان، والمكان (الأرض)، والرسالة السماوية، نلمس ذلك في دعاء إبراهيم لما قال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ

hiragate.com

غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(إبراهيم:٣٧)، حيث أسكن إبراهيم أهله وابنه إسماعيل بوادي أم القرى بجوار الكعبة، وذلك بوحي من الله تعالى، ثم دعا ربه أن يهيئ لذريته ما يعينهم على القيام بعبادة الله تعالى؛ من أمنٍ بجوار البيت الحرام، وتعارفٍ ومحبة بينهم وبين الوافدين عليهم مستقبلاً، وأن يرزقهم من الثمرات ما يحقق حاجتهم من الطعام والعيش الكريم.. وبذلك وضع إبراهيم عليه السلام الأسس المادية والروحية للعمران البشري، وكأنه عليه السلام يضع تخطيطًا مستقبليًا لعمران أمة مسلمة ذات رسالة حضارية متميزة[٢].

يستعرض القران الكريم مشاهد عمرانية من خلال قصص الأمم الغابرة، فيها من الأسرار والحكم ما يكفي أن يكون زادًا للبشرية، تستقي منه مقومات العمران المنشود، وتتقي به من الاعوجاجات والانحرافات.. والقاسم المشترك بين جميع المشاهد، أن عنصر التوحيد ونسب الفضل إلى الله ﷻ هو المنطلق في الإعمار، والكفر والجحود والطغيان هو السبب المباشر في الوبال والدمار، حسبنا أن نمثل بمشهدين عمرانيين، الأول قائم على هدى من الله، والثاني قائم على شفا جرف هار.

أما الأول فتجلّيه قصة ذي القرنيين الملك الصالح، الذي بلغ المشارق والمغارب، استنجد به القوم على أن يحول بينهم وبين القوم الظالمين يأجوج ومأجوج: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾(الكهف:٩٤-٩٧). ولك أن تتخيل الإمكانات المادية والبشرية التسخيرية التي حباه الله بها، والتي بها استطاع أن ينشئ الردم بين أهل القرية المستنجدة ويأجوج ومأجوج الظالمين، حتى ساوى بين الجبلين، وهو عمران وبناء قوي وشامخ وأشد صلابة وأعجوبة من عجائب الدنيا الباهرة.

ولنا في القصة عبر لذوي الألباب في عوائد الخير التي تعود حين يمتزج العلم والإيمان بالعمران، فذو القرنين جسد تلك المعاني كلها لتبقى هدى ونبراسًا للبشرية، جمع بين خبرته وعلمه وإيمانه بربه وعظيم قدرته، وحين انتهى من صناعة الردم الحديدي نسب الفضل إلى خالقه تواضعًا وانكسارًا ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(الكهف:٩٨)، هكذا يجتمع العلم والإيمان فتكون النتيجة إقامة الحضارة والعمران.

والثاني تجليه لنا قصة القرية أو مدينة إرم التي قال الله تعالى عنها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾(الفجر:٦-٨)؛ تقرر الآيات أن القوم شيدوا عمرانًا لم تر البشرية مثله، فهي القبيلة التي لم يخلق مثلها في بلادهم، لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم. ويسبق هذا التقرير هلاك الله لهم لأنهم كانوا "متمردين عتاة جبارين، خارجين عن طاعته مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه. فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم، وجعلهم أحاديث وعبرًا"[٣]، وقال تعالى في موضع آخر عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾(فصلت:١٥)، ولا يزال أمر عمرانهم غير محسوم المكان، ومدينتهم مفقودة وهي التي كانت شامخة مستعلية، ولعل في ذلك التفاتة؛ لأنه عمران لا يتكئ على الإيمان فكان مآله الطمس والخراب. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

الهوامش

(١) عمر عبيد حسنة، من خلال تقديمه لكتاب الأمة ٥٨، ربيع الأول ١٤١٨هـ: تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، خالد محمد مصطفى عزب، ص:١٧.

(٢) العمران الحضاري وأسسه في القرآن الكريم، محمد البوزي، جريدة المحجة، العدد:٣٦١، يونيو ٢٠١١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير.

hiragate.com

د. بركات محمد مراد*

ابن الرومية
مرجع علم النبات

كانت دراسة النباتات والحشائش تحتل في العصور الوسطى مكانة هامة في البحوث الطبية، وإليها ترتكز معظم الجهود في تركيب الأدوية والعقاقير الطبية. وقد بدأت هذه الدراسات في عصر مبكر، وكان أستاذها الأول "ديسقوريدس" اليوناني الذي عاش في القرن الأول للميلاد، واشتهر بكتابه عن "الحشائش الطبية" ومركبات الأدوية، وكان يعتبر طوال العصور الوسطى أنفس المراجع من نوعه، حتى إن القيصر السابع حينما أرسل سفارته الشهيرة إلى عبد الرحمن الناصر عام ٣٣٦هـ/٩٤٨م، لم يجد أنفس من نسخة مصورة من كتاب "ديسقوريدس" هدية يهديها إلى الخليفة.

وقد عني العلماء المسلمون عناية خاصة بدراسة الحشائش والنباتات، وتصنيفها ودراسة خواصها العلاجية، واشتهر بالأخص عالمان أندلسيان بلغا في هذا الميدان ذروة التفوق والنبوغ، هما أبو العباس بن الرومية الإشبيلي، وتلميذه النجيب ابن البيطار المالقي.

المسلمون وعلم النبات

لا ننسى أن المسلمين قبل عصر هذين العلَمين الكبيرين أخذوا معلوماتهم الأولى عن النبات، من مصادر مختلفة هندية ويونانية وفارسية ونبطية.. ثم ترجموا كتب ديسقوريدس وجالينوس في علم النبات، ولم يكن عملهم في هذه الكتب فحسب، بل كانوا يضيفون إلى ذلك الشروح والتعليقات، ويقتبسون منها ومن غيرها ما يرونه مفيدًا لتطوير زراعة أراضيهم، وبذلك نوعوا ثمراتها بإدخال أصناف جديدة، وزادوا في غلاتها، واستغلوا معرفتهم الجديدة بإدخال عقاقير ذات أصل نباتي لم تكن معروفة عند من نقلوا منهم من اليونانيين، مثل التمر الهندي، والكافور، والزعفران، والراوند، والسنامكة، والإهليلج وخيار الشنبر.

ونقلوا ثمار بعض النباتات الطبية من الهند كالأترج المدور الذي زرعوه في عمان، وجاءوا بالبرتقال من أوربا من بلاد الغال، إضافة إلى أن المسلمين حين فتحوا مختلف المدن والأمصار، عمدوا إلى إصلاح وسائل الري وتنظيمها ببناء السدود وحفر القنوات وإقامة الجسور والقناطر، وباستغلال الأراضي الزراعية باستنبات النبات المناسب في التربة الصالحة له. ووقفوا على خصائص أنواع التربة فاعتنوا بتسميدها، كما جلبوا من البلدان الجديدة أشجارًا ونباتات جديدة؛ كالأرز، وقصب السكر، والزيتون، والمشمش التي أدخلوها إلى أوروبا، كما نقلوا إلي أوروبا نباتات وأعشاب طبية وعطرية كثيرة.

وقد بدأ اهتمام المسلمين بالنبات من الوجهة العلمية، في مطلع العصر العباسي مع بداية حركة الترجمة، إذ ترجموا كتب الأقرباذين والنباتات التي استفادوا منها كثيرًا. ولما ارتقى علم النبات لديهم، ظهر بينهم من اشتهر بدقته في البحث والوصف؛ كرشيد الدين الصوري، وابن البيطار الذي يورد ما لا يقل عن ١٤٠٠ عقار بين نباتي وحيواني ومعدني، من بينها ٣٠٠ عقار جديد لم يسبقه إليها أحد، وقد بين فوائدها الطبية وكيفية استخدامها غذاء ودواء.

لقد استفاد ابن البيطار من أستاذه ابن الرومية طرُق البحث والوصف والاستقصاء في عالم العقاقير والنباتات، فكان رائد عصره في معرفة النبات وتحقيقه واختباره والمواضع التي ينبت فيها. وكان يجمعها ويبحث فيها، ويحقق في خواصها ومفعولها. ونظرًا لتمكنه من علمه في الأدوية التي تتخذ من الأعشاب عيّنه الملك الكامل رئيسًا للعشابين.

ابن الرومية وحياته العلمية

أبو العباس بن الرومية الإشبيلي، يعتبر أعظم النباتيين المسلمين في بلاد الأندلس، وقد اشتهر بالنباتي وبالعشّاب. ينتمي ابن الرومية إلى أسرة قرطبية من موالي بني أمية، نبغ فيها أطباء ونباتيون، ونزحت فيما بعد إلى إشبيلية. وفي إشبيلية ولد أبو العباس عام ٥٦١هـ/١١٦٥م، وكانت إشبيلية يومئذ قاعدة الحكومة الموحّدية بالأندلس، وقد غدت في ظل الموحدين مركز العلوم والآداب بعد أن ضاقت هيبة قرطبة السياسية والأدبية.

وقد درس أبو العباس على جمهرة من أكابر العلماء في عصره، وبرز بالأخص في علم الحديث، حتى غدا فيها إمامًا حافظًا لا يبارى في ذكر تواريخ المحدثين وأنسابهم وتجريحهم وتعديلهم. وشغف في الوقت نفسه بدراسة النبات وخصائص الأعشاب الطبية، وتجول من أجل ذلك في ربوع الأندلس والمغرب وشمال إفريقيا ومصر والشام والعراق والحجاز، ووصل في هذا الميدان -من تحقيق أصول الأعشاب المختلفة

hiragate.com

وخواصها وتمييزها- إلى ما لم يصل إليه أحد من قبل.

وهنا تبرز تلك الجامعة الغريبة المشتركة بين علم الحديث وعلم النبات، وقد وجدنا الوزير ابن الخطيب يوضح كنه هذه الجامعة بين الصناعتين خلال حديثه عن ابن الرومية، فهو يقول مشيرًا إليه: "عجيب نوع الإنسان في عصره وما قبله وما بعده، في معرفة علم النبات وتمييز الأعشاب وتحليلها وإثبات أعيانها على اختلاف أطوار منابتها بمشرق أو بمغرب، حسًّا ومشاهدة وتحقيقًا.. لا مدافع له في ذلك ولا منازع، حجة لا ترد ولا تدفع، قام على الصنعتين لوجود القدر المشترك بينهما وهما الحديث والنبات، إذ مواردهما الرحلة والتقييد، وتصحيح الأصول وتحقيق المشكلات اللفظية، وحفظ الأديان والأبدان، وغير ذلك".

ويحدثنا الدكتور محمد عبد الله عنان في كتابه "تراجم إسلامية" عن هذه الظاهرة في الجمع بين الحديث والعلوم البحتة، حيث تبدو في أحياء كثير من العلماء المسلمين؛ فإننا نجد مثلاً عميد بني زهر (عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر) أبرع أطباء الأندلس في عصره، وولده أبو العلاء بن زهر المتوفى عام ٥٢٥هـ، ثم حفيده أبو مروان عبد الملك بن زهر أعظم طبيب في العصور الوسطى، أو على قول تلميذه ابن رشد "أعظم طبيب بعد جالينوس". نجد هؤلاء جميعًا من أئمة الحديث وأكابر الحفاظ، وهم في الوقت نفسه من أعظم عباقرة الطب والكيمياء.

وكذلك نجد ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" يقول عن ابن الرومية: "وله الذكر الشائع والسمعة الحسنة، كثير الخير، موصوف بالديانة، محقق للأمور الطبية، قد شرف نفسه بالفضائل، وسمع من علم الحديث شيئًا كثيرًا عن ابن حزم وغيره". ويبدو أن أبا العباس كانت له ميول لدراسة الشريعة والأحاديث النبوية، مسيطرة عليه في أول حياته، وكان التكوين العلمي الديني القوي يستغرق بدايات طفولة وشباب العلماء المسلمين في أول حياتهم، قبل أن تتضح لهم علوم يتخصصون فيها ويتعمقون مسائلها وحقائقها.. ولكنه رأى معاملة الأطباء والصيادلة للفقراء والمساكين، فاندفع لدراسة علمَي النبات والطب، حيث برز فيهما، فثقافته الإسلامية جعلت منه عالمًا فذًّا، مدركًا لما يحتاج إليه الناس وينفعهم خاصة العامة.

وقد قضى ابن الرومية في رحلاته الدراسية التي كان معروفًا بها في شمال إفريقيا وبلاد المشرق مذ بدأها عام ٥٨٠هـ بقليل، زهاء ثلاثين عامًا، وأدى فريضة الحج في عام ٦١٣هـ، ولقي خلال تجواله جمهرة كبيرة من العلماء المشارقة بمصر والشام، والعراق ومكة، وأخذ وروى عنهم، ثم عاد إلى الأندلس بعد طول التجوال واستقر ببلده إشبيلية، وافتتح بها متجرًا للنباتات الطبية، فكان مقصد الأطباء والنباتيين وطلاب العلاج من سائر الأنحاء. وهنالك وفد عليه معاصره الفقيه المؤرخ والشاعر ابن الآبار القضاعي غير مرة، حسبما يذكر لنا ذلك في ترجمته في كتاب "التكملة".

قال ابن عبد الملك المراكشي في "الذيل والتكملة"، يصف ابن الرومية ورحلاته وبحوثه: "إمام المغرب قاطبة فيما كان بسبيله، جال بالأندلس ومغرب العدوة، ورحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقيا ومصره وشامه وعراقه وحجازه، وعاين الكثير مما ليس بالمغرب، وعارض كثيرًا فيه كل ما أمكنه، ولم يزل باحثًا عن حقائقه، كاشفًا عن غوامضه، حتى وقف منه ما لم يقف عليه غيره ممن تقدم في الملة الإسلامية، فصار واحد عصره فردًا لا يجاريه فيه أحد بإجماع أهل ذلك الشأن".

وبينما كان ابن الرومية في مصر زائرًا للإسكندرية التي كانت حينئذ معقلاً من معاقل العلم والمعرفة، سمع الملكُ العادل أبو بكر بن أيوب عن فضله وجودة علمه

hiragate.com

بالنبات والطب وعلم الحديث، فاستدعاه من الإسكندرية لزيارة القاهرة، وعرض عليه وظيفة مغرية ليبقى في مصر، فاعتذر بحجة أنه يريد أن يذهب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، فاقتنع الملك العادل وقدّره واحتفى به.

مؤلفات أبي العباس

اهتم أبو العباس بن الرومية في التصنيف اهتمامًا بالغًا، فألف في علم النبات وتفنن فيه، حتى صارت مؤلفاته في هذا الحقل مرجعًا يرجع إليها العلماء ليقتبسوا منها المعلومات المفيدة والنادرة والبناءة.. أورد أنور الرفاعي في كتابه "الإسلام في حضارته ونظمه" قائمة، فيها تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس (أو شرح حشائش ديسقوريدس)، ومقال في تركيب الأدوية، والرحلة النباتية، وأدوية جالينوس والتنبيه على أوهام ترجمتها، والتنبيه على أخطاء الغافقي، والرحلة المستدركة.

عندما ننظر إلى مصنفات أبي العباس بن الرومية في علم النبات، نجد أنها قليلة مقارنة بالعلماء الذين سبقوه، ولكنه يمتاز بمنهجه الفريد وطريقته الخاصة في الكتابة، حيث كان يسهب بالشرح والأمثلة أحيانًا عندما يرى أن الموضوع صعب ويحتاج للإطالة، لكي يستوعب القارئ الموضوع على الوجه الأكمل والمرجو منه، ويوجز في بعض الأحيان عندما يشعر أن المسألة التي يتكلم عنها سبق وأن تطرق لها في أحد مؤلفاته، أو ورد ذكرها في مصنفات أحد علماء العرب والمسلمين، ففي هذه الحالة يذكرها لتوثيق ما يتحدث عنه فقط.

ومن الملاحظ أنه كان يكره التشهير عندما ينتقد عالمًا من العلماء، سواء كان مسلمًا أو غير مسلم، بل كان يحاول تعديل الخطأ وبطريقة هادفة وبناءة. إن إنتاج ابن الرومية في علم النبات، جعلت المستشرق "مايرهوف" الألماني يندهش منه ويعجب به، وينوه عنه بكل صراحة أنه من النادر، بل من الصعب جدا على أي متخصص بعلم النبات، أن ينتج مثل كتابه "الرحلة النباتية" الذي كان يشتمل على معلومات كثيرة، وإحاطة واسعة لمعرفة أسماء النباتات وفوائدها الطبية والغذائية، واعتبره من فطاحل علماء العصر الوسيط.

ولذلك يقول الدكتور علي عبد الله الدفاع في كتابه "إسهام علماء العرب والمسلمين في علم النبات": "إن ابن الرومية عبقرية علمية بارزة في علم النبات والحديث، كان تأثيره رحمه الله واضحًا وجليًا، ليس فقط على علماء العلوم الطبيعية في المعمورة، ولكن أيضًا على علماء الحديث في العالم الإسلامي. كان رحمه الله عندما يتكلم عن نوع من أنواع النبات، لا يكتفي بما كتبه عنه العلماء السابقون له من علماء العرب والمسلمين أو الإغريق، بل كان يدرسه بنفسه ويعمل عليه التجارب، لكي يتسنى له بوضوح ما يريد أن يكتب عن هذه النباتات، لذا نجد أنه ربط ملاحظاته على أسس علمية جديدة. فهو باحث يجب أن يكون مضاهيًا لابن جعفر محمد بن أحمد الغافقي الذي نال شهرة واسعة وعظيمة في كتابه "الأدوية المفردة"، بعلمه وأخلاقه واستقصائه للحقائق العلمية.

أما مؤلفاته الأخرى الهامة التي تدل على صفة الموسوعية التي كان يتصف بها علماء ذلك الزمان، والتي تدل على مدى اتساع آفاقهم العلمية، فنجد له في الحديث كتاب "رجالة المعلم بزوائد البخاري على مسلم"، وكتاب "اختصار حديث مالك للدارقطني"، وكتاب "نظم الدراري فيما تفرد به مسلم عن البخاري"، وكتاب "الحافل في تذليل الكامل" وغيرها. وقد توفي ابن الرومية بعد حياة علمية حافلة بإشبيلية في شهر ربيع الآخر عام٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م، قبل سقوطها في أيدي القشتاليين بنحو تسعة أعوام فقط. ■

(*) قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

hiragate.com

د. باربرا بويد*

إن فكرة أن يصبح المعلّم أكثر من مجرد مُحاضرٍ أو ناقلٍ للمعلومات، هي فكرة مركزية في رؤية الأستاذ كولن التعليمية؛ فالمعلم -بالأحرى- هو مُربٍّ يكشف من خلال حضوره الذاتي عن إمكانيات الطالب.

بصمة المعلم

ورغم ما للمادة الدراسية من أهمية بالغة، فإن أهمية "حضور" الشخص الذي يتوفر على أداء هذه المادة، تكون أكبر تأثيرًا في الناتج النهائي، فوفقًا لأحد أعمال الأستاذ كولن: "ينبغي للمعلمين أن يجدوا طريقًا إلى قلوب الطلاب، وأن يتمتعوا بالقدرة على ترك بصمات لا تُمحى على عقولهم، كما ينبغي لهم اختبار المعلومات التي يُعتزم تمريرها إلى الطلبة، وذلك بتهذيب عقولهم وصفحات قلوبهم هم أنفسهم، فالحصة الدراسية الجيدة هي تلك التي تمد التلاميذ بما هو أكثر من المعلومات والمهارات النافعة، إنها تلك التي ترتقي بهم للقاء المجهول".

الأخلاق المجسدة

أتذكر بوضوح تام زيارتي لإحدى مدارس حركة الخدمة بمدينة إسطنبول، حين تحلَّق الأطفال -من سن المرحلة الإعدادية- حولي ليمطروني بالأسئلة، وقد أدهشني أن تأتي جميعُها بالإنجليزية. كانوا طلابًا مُفعمين بالحياة وصاخبين ومشرقين وودودين وحريصين على اصطحابي إلى فصولهم الدراسية، واستعراض مهاراتهم في لغتي الخاصة، وإشراكي في رؤية الجوائز التي حازتها مدرستهم. وقد تساوت بينهم أعداد الذكور والإناث، سواء في طاقم الموظفين أو الطلبة. وكانت الفصول مُزدانة بأحدث المعدات، والمدرسة نظيفة بشكل فائق، والجوُّ العام ممتلئًا بالحماسة والصرامة الأكاديمية والامتياز الأخلاقي.

وعندما التقيت مدير إحدى المدارس في وقت لاحق من الأسبوع في حفل عشاء مع المساهمين، سألته مباشرة "لِمَ الطلاب والمعلمون في هذه المدارس مذهلون على هذا النحو؟ هل تُدرِّسون الأخلاق في الفصول الدراسية؟" ليأتي رده -ابتداء- في صورة

إن حصيلة التعليم هي خدمة الآخرين لا خدمة المصالح الشخصية فحسب، وهو ما يترتب عليه أن تكون الفرضية التي يُنتقى المعلّمون وعلى أساسها يتعلم الطلاب، هي أولوية التوجه الروحي.

ابتسامة عميقة مترويـة، ثم أجاب بهدوء: "إننا لا نُعلِّم الأخلاق، بيد أن معلمينا هم صورةٌ لما يقومون بتدريسه متواضعون ومتسامحون وعطوفون وأذكياء".

ومن رحم هذه الإجابة البسيطة كان مولد هذه الدراسة؛ إذ تنتقي مدارس الأستاذ كولن معلمين يكونون هم أنفسهم أشخاصًا ورعين مخلصين روحانيين أذكياء متواضعين، يُمرِّرون حكمتهم الذاتية إلى طلابهم من خلال الأفعال لا الأقوال. وحيث إن الطلبة يُشمَلون بالرعاية في بيئة الرحمة والتسامح هذه، فإنهم يصبحون مواطنين عالميين واعين قادرين على التأثير في محيطهم ومستقبلهم.

ولعل هذه العبارة من الأستاذ كولن تصف ذلك أبلغ وصف، إذ يقول: "تتوقف استمرارية الأمم على ما تتلقاه شعوبها من التعليم ومن التوجيه صوب الكمال الروحي. وإذا لم يكن بوسعها تنشئة أجيال متطورة يُمكنها أن تعهد إليها بأمر المستقبل، فسيكون مستقبلها مظلمًا آنذاك".

رؤية كونية

لقد جعلت الحركةُ من الفكرة القائلة بأنك طالما تلقيت الدعم وأنت طالب، فعليك الخروج إلى العالم لدعم الآخرين، جزءًا لا يتجزأ من تركيبتها، وبذا فإنها تعمل على إيجاد شكل من أشكال "الجماعاتية" من خلال التزامها الجوهري بالإسلام، ومن خلال توجهها العالمي.

يقول الأستاذ كولن: "الآن إذ نعيش في قرية عالمية، أصبح التعليم هو أفضل السبل لخدمة البشرية، وللدخول في حوار مع الحضارات الأخرى"، أي إن الأستاذ كولن نفسه يعي أن حصيلة التعليم هي خدمة الآخرين لا خدمة المصالح الشخصية فحسب، وهو ما يترتب عليه أن تكون الفرضية التي يُنتقى المعلِّمون وعلى أساسها يتعلم الطلاب، هي أولوية التوجه الروحي؛ إذ ليتسنَّى للمرء خدمةُ الآخرين لا بد أن تتكوَّن لديه نزعة روحية تربطه بالإنسانية.

إن الروحانية الإسلامية تعضد من نموذج الأستاذ كولن التعليمي، الذي يتبدئ عبر تدريس العلوم ومن خلال التربية الأخلاقية الملموسة، وذلك بهدف خدمة الحياة المدنية وإحلال السلام في الوجود؛ إذ من أجل خلق عالم أفضل للجميع، وليس من أجل نفع الطالب وحده، تُقدِّم هذه المدارس خدماتها التعليمية. وهذه الغاية واضحة ومقصود إليها في آن.

مركزية المعلم

ينبثق نموذج الأستاذ كولن مما يكمن داخل المعلم، بحيث تتم ترجمته ونقله إلى ذات الطالب الروحية، أي إن المعلم نموذج للذات إذا جاز التعبير. وهكذا فإنه (المعلم) يُشكِّل النقطة المحورية في نموذج الأستاذ كولن، الذي يذهب إلى القول بخروج أشخاص أفضل من رحم هذه الطريقة، وإلى القول بأن هذا الأسلوب يساعد على خلق عالم أكثر إنسانية.

تتجلَّى رؤية الأستاذ كولن حول المحبة في كل درسٍ يُعلمه لتلاميذه وأتباعه. وبعد أن التقيتُه أنا نفسي، صرتُ على وعي بأنه أحد أولئك الأشخاص النادرين الذين يُمثِّل حضورُهم نفسُه شكلاً من أشكال الحب المتجسد. وأثناء محادثة أجريتها معه على مائدة العشاء، سألته بشكل محدد عن الحب، مُوضحًا أنماطَه الأربعة التي روَّج لها معلمُنا المسيح، ليجيبني على نحو بالغ الإيجابية قائلاً: "إن الحب يقع في صميم الوجود البشري، وإن تعاليمه في معتقداتنا المختلفة -الإسلام في حالته، والمسيحية في حالتي- هي المرشد لأفهامنا وأفعالنا". وبعبارة أخرى، فإن الحب -عند الأستاذ كولن- ليس مقولة نفسية، بل مسارًا روحيًّا.

ولعله قد أمكنَ لهذا المؤلف الذي يكتب عن الإيثار الصوفي، أن يوضح منبع شعور الأستاذ كولن الملموس بالحب حين قال: "لِنَعْبُدَ اللهَ مخلصين بتَوَجُّهٍ غيرِ منقوص؛ علينا أن نُفرِغ قلوبَنا من حب كل ما عداه". ولذا، فللخروج بأيٍّ من التقييمات التي يُمكن طرحها حول نموذجه التعليمي، سواء بالسلب أو بالإيجاب، علينا أن نعي أنه لا يُمكننا استيعاب حركة كولن ما لم نتفهم عنصر الحب الذي يحافظ على تماسك أجزائها معًا، وكأنه عروة لا تقبل الانفصام. ■

(*) أستاذة في جامعة أوكلاهوما / الولايات المتحدة الأمريكية.

hiragate.com

أحمد ألتان*

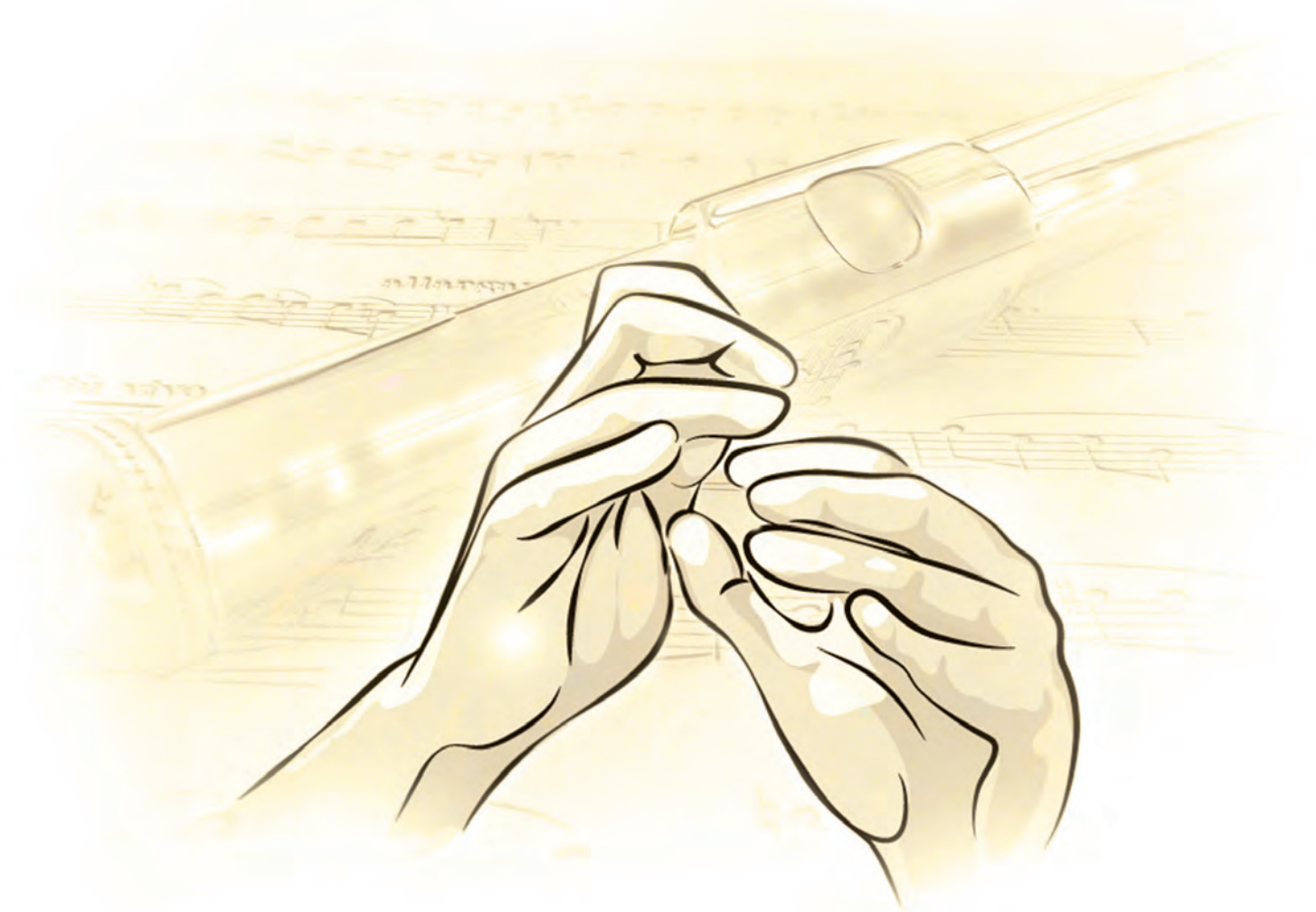

مزمار من كرتون(**)

لـ

ليس هناك في الحياة فزعٌ ورعبٌ أكثر مِن أن تواجه قوة مذهلة لشخصٍ يتحكّم في مصيرك؛ حيث يمكنه أن يُعدمك أو يسجنك أو يرسلك إلى المنفى أو حتى يتركك حرًّا طليقًا. فسِجْن مثل هذا الشخص إياك أو إخلاؤه سبيلك أمر مدمّر بالقدر نفسه، بغض النظر عن اختلاف النتائج. فأنت أمامه لا تملك أي حق في الكلام؛ بل الذين يتمتعون بهذا الحق أو تلك السلطة، هم أشخاص يرتدون عادة عباءة، ويجلسون على منصة مرتفعة، ويُطلق عليهم "قضاة".

إن الشيء الوحيد الذي يسوّغ لأي أحد امتلاك مثل هذه القوة الخارقة، هو أن يستخدمها في محلها، بحيث يحقق بها العدل

أعلم أنه ليس هناك في الحياة ما هو أكثر فزعًا ورعبًا مِنْ أن تواجه قوة مذهلة لشخص يتحكم في مصيرك؛ كما أعلم مدى العذاب والإذلال الذي تلقاه عندما يتجاهل صاحب هذه القوة ما تقول ولا يعبأ به.

ويحفظ من خلالها الحقوق.

لكن فما بالكم إذا كانت مثل هذه القوة لا تبالي بأي معايير للحق أو العدالة؟

في رواية "وداعًا للسلاح" للكاتب الأمريكي "أرنست همنجواي" مشهدٌ يصف محاكمة قضاةٍ عسكريين لجنود إيطاليين بعد الهزيمة داخل كهفٍ، حيث يرتدي القضاة قبّعاتهم ويلقون التحية العسكرية، قبل أن يصدروا أحكامهم بالإعدام على الناس غير عابئين بشيء، تملؤهم الثقة بأن هذه الأحكام لن تؤثر قطعًا على مصيرهم هم أنفسهم.

لقد كان هذا المشهد مذهلاً أيضًا في الفيلم الذي مثّله كل من "روك هدسون" و"فيتوريو دي سيكا"، حيث كان القضاة يصدرون الأحكام، ويرسلون الأشخاص إلى فرقة الإعدام دون مبالاة.

لقد امتثلتُ أمام القضاة عدة مرات خلال فترة الحبس الطويلة، لم يعيروا سمعًا لما قلت في الدفاع عن نفسي، وكلما قدمت لهم أدلة براءتي استمروا في ترديد الاتهامات نفسها مرارًا وتكرارًا وكأنني لم أقل شيئًا. حكموا عليّ بالسجن المؤبد أولاً، ثم خفّفوا العقوبة إلى عشر سنوات ونصف، وأخيرًا أطلقوا سراحي.

وإذ أسطّر هذه السطور، أنتظر في الوقت ذاته قرارًا سيتخذه القاضي بناءً على استئناف المدعي العام بعد اعتراضه على قرار إطلاق سراحي، فقد يعيدونني إلى السجن مرة أخرى.

لقد سمعت الحُكم عليَّ بالسجن المؤبد، وسمعت بعد ذلك قرار إخلاء سبيلي من فم القاضي نفسه في أوقات مختلفة. والحق أقول لقد أعياني قرار إخلاء سبيلي بالقدر نفسه الذي أعياني فيه قرار الحكم عليّ بالمؤبَّد؛ لأنني أعلم أن قرار الإفراج عني صدر ممّن لا يتمتعون بالصلاحية التي تخوّل لهم اتخاذ قرار بحقي.

نعم لقد خرجت من السجن، لكن آلافًا من الأبرياء ما زالوا قابعين هناك.

خرجت من بين هذه القضبان الحديدية والجدران العريضة المظلمة، وتركت خلفي أناسًا ضعفاء لا حول لهم ولا قوة.

مكثت أكثر من ثلاث سنوات في زنزانة صغيرة مع اثنين من الأبرياء، لم يرتكبا أي جرم، لكن أحدًا لم يصغ إليهما رغم عرضهما أدلة براءتهما مرارًا وتكرارًا. لقد حَكم عليهما بالسجن قضاةٌ لا يختلفون شيئًا عن قضاةِ رواية "وداعًا للسلاح".

كان أحد رفيقيّ في الزنزانة في نفس سنّ ولدي، وكان حديث الزواج عندما تم القبض عليه. كان شابًّا متديّنًا، ومهتمًّا بالفلسفة والأبحاث العلمية في الوقت نفسه.

هذا الشاب لديه مهارات يدوية مذهلة، إذ يمكنه إنجاز أشياء مدهشة بأدوات لا تخطر على البال، في مكان خالٍ من الإمكانات. كان يستطيع تحويل أكياس الملح إلى دَمْبِلٍ (للتريض)، وشوكة الطعام إلى مشبك، والملعقة الصغيرة إلى ملقاط، وبإضافته مكونات مختلفة إلى وجبات السجن كان يبتكر أطباقًا جديدة. هذا الشاب اسمه "سلمان"، وكان يعتقد أن الشكوى والتذمر هو نوع من السخط وعدم الرضا بمشيئة الله وإرادته، فكان لا يشتكي قط، لم يكن لديه زوار لأسباب عديدة، ومع ذلك لم يكن يشكو من هذا أبدًا.

ذات يوم وبينما كنت أكتب روايتي الجديدة "Hayat Hanım" (السيدة حياة) على الطاولة البلاستيكية، سمعت عزفًا موسيقيًّا في الفناء.. إنه صوت مزمار!

خرجت إلى الفناء، فإذا بسلمان يستند إلى الجدار وبيده مزمار، يضمه إلى فيه ويعزف عليه وهو مغمض العينين. تلاشت -فجأة- الضوضاء في الزنازين المحيطة، وعمّ السكونُ أرجاء المكان، وأخذ الجميع يصغي إلى هذه الموسيقى المفاجئة. وبانتهاء سلمان

hiragate.com

من العزف دوَّى في المكان أصوات قوية متتالية، إنها أصوات قطع الحلوى التي اشتراها المساجين من كانتين السجن ترتطم بأرضية الفناء الذي نحن فيه، يلقيها النزلاء في الزنازين المجاورة تعبيرًا عن مدى إعجابهم، ورغبتهم في الاستزادة من العزف، وقد استجاب سلمان لهذه الرغبة فظل يعزف لساعات. وبعد أن أُغلق باب الفناء سألته "من أين أتيت بهذا المزمار؟".

لقد صنع هذا المزمار من كرتون تقويم التاريخ الذي كان في الزنزانة. ولكونه لا يمتلك شريط قياس أخذ يقدِّر المسافة بين كل ثقب بأصابعه، واتخذ من عنق زجاجة بلاستيكية قَطَعَهُ فمًا لهذا المزمار.

كان العزف الذي يصدر من مزماره هذا لا يضاهيه أي عزف يصدر من أي أداة أخرى على وجه الأرض، كانت له نغمة غريبة وغليظة إلى حد ما، ومع ذلك لم يعجز سلمان عن عزف أية مقطوعة أو التعبير عن أي نغمة يريد.

لم يكتفِ سلمان بعزف المقطوعات الحزينة فحسب، بل عزف الألحان التي تبعث على السعادة والسرور أيضًا، رغم أن المزمار كان صوته يميل إلى الحزن بشكل عام.

كان مثل ولدي.. لا أحد يأتي لزيارته.. لكنه لم يشتكِ ولو مرة واحدة.

لقد صنع مزمارًا من الكرتون، وأخذ يعزف به وهو متكئ على الجدار.

تم إطلاق سراحي من السجن في منتصف إحدى الليالي وسألني الجميع عن شعوري، أرادوا أن يسمعوا مني كلمات تنمّ عن الفرح الذي يشعر به الشخص في أول لحظات الحرية بعد سنوات من الحبس، غير أنني أخبرتهم بأنني حزين بعض الشيء.

فقد تركت ورائي خلف القضبان الحديدية الآلاف من الأبرياء، منهم سلمان بمزماره الكرتوني.

كنت أعلم أنهم أبرياء، ولكن لم يكن بمقدوري إنقاذهم، ولم يكن أحد يصغي إليهم، ليس القضاة فحسب، بل ثلّة كبيرة من المجتمع تحولوا إلى هؤلاء الرجال الذين يحكمون على الآخرين بالإعدام في

مكثت أكثر من ثلاث سنوات في زنزانة صغيرة مع اثنين من الأبرياء، لم يرتكبا أي جرم، لكن أحدًا لم يصغ إليهما رغم عرضهما أدلة براءتهما مرارًا وتكرارًا. لقد حَكم عليهما بالسجن قضاةٌ لا يختلفون شيئًا عن قضاةِ رواية "وداعًا للسلاح".

الكهف بلا مبالاة، يرتدون قبعاتهم، ويحيُّون الجلوسَ، ثم يرسلون الشخص إلى فرقة الإعدام، وينتظرون بعد ذلك الضحايا الجدد.

لا يمكن أن تشعر بالفرح عند مغادرة السجن بعدما رأيتَ هذا الكهف، وشهدت معاناة الأبرياء، واستمعت إلى المزمار الكرتوني، بل يشعر الإنسان عندها وكأنه متواطئ مع الآخرين على جريمة شنعاء. إنك تشعر بأنك ضحية للظلم وأنت في داخل هذا السجن، وتشعر وكأنك أصبحت شريكًا في ظلمٍ أعظم بعد مغادرته.

إنني أعلم أنه ليس هناك في الحياة ما هو أكثر فزعًا ورعبًا مِنْ أن تواجه قوة مذهلة لشخص يتحكم في مصيرك؛ كما أعلم مدى العذاب والإذلال الذي تلقاه عندما يتجاهل صاحب هذه القوة ما تقول ولا يعبأ به.

أعلم أيضًا كيف كان صوت المزمار الكرتوني يعبّر عن نار شوق ضرمٍ لا يخبو.. أعلم كذلك أنه من المحتمل أن يقبضوا عليَّ مرة ثانية.. لكن الاعتقال ليس احتمالاً بالنسبة لسلمان، لأنه معتقل بالفعل.

إنه في عمر ولدي، يصنع الدَّمْبِل من أكياس الملح، والمزمار من الكرتون.. ليس لديه زوار.. لا يشكو أبدًا. ■

(*) كاتب وصحفي تركي. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر. التحرير: صابر عبد الفتاح المشرفي.

(**) لم يكد الكاتب الصحافي البارز أحمد ألتان يستمتع بهواء الحرية، حتى أعاده النظام التركي إلى المعتقل مرة أخرى. في سويعات الحرية القليلة التي قضاها ألتان في منزله، أمسك قلمه ليخط مقاله الأول خارج السجن، يعبر في كلماته عن مرارة الإحساس بالظلم، وعجز آلاف المظلومين داخل السجون عن توصيل أصواتهم.

hiragate.com

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
نور الدين صواش

الإخراج الفني
نور الدين محمد

منسق الاشتراكات والتوزيع
علاء الكوابري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-75

IRAQ
Kani İrfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton, NJ, 07011, USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+2 01094338182

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002

www.souq.com

مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | **مكتبة فكرة ستي ستارز**

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مستحيل

عَلِقْتَ في مستحيلٍ مِلْتَ عنْ رشدِ
وا حسْرتاهُ على ما ضاعَ من جُهْدِ
يموتُ شيءٌ بِنا في كلّ ثانيةٍ
فأَعْملِ العقلَ إنّ التِّيهَ لا يُجْدِي

***

ISSN 2357-0229
75
9 772357 022004
www.hiragate.com